الأسطورة العسكرية

عبد الرحمن الغافقي

بطل معركة بلاط الشهداء

شعبان ١١٤هـ . أكتوبر ٧٣٢م

المفكر الإسلامي

أحمد عزوز الفرخ



مؤسسة شروق

دار البدر

الأسطورة العسكرية

عبد الرحمن الغافقي

بطل معركة بلاط الشهداء

شعبان ١١٤ هـ . أكتوبر ٧٣٢ م

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

رقم الايداع: ٢٠١٥/١٩٠٤

الترقيم الدولي: 5 - 34 - 6226 - 977 - 978

الأسطورة العسكرية

عبد الرحمن الغافقي

بطل معركة بلاط الشهداء

شعبان ١١٤ هـ . أكتوبر ٧٣٢ م

تاليف

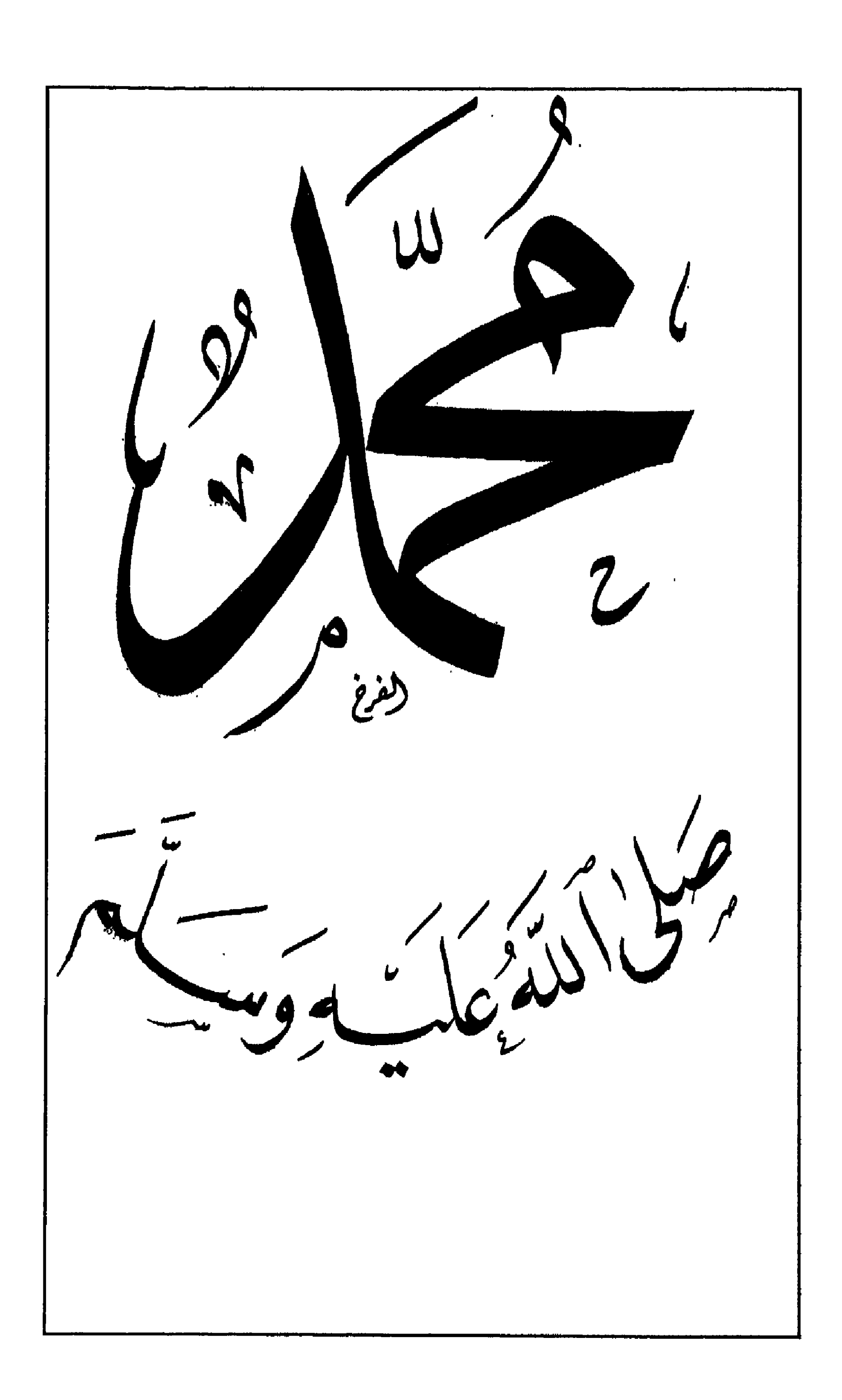
المفكر الإسلامي

أحمد عزوز الفرخ

مؤسسة الشروق دار البدر

١٦ ش البيطار ـ الأزهر

٠٢٢٥١١٤١٥١ ـ ٠١٠١٢١١١٧٤١


محمد
صلى الله عليه وسلم

باقة ورد إلى الحبيبتين

هما الحبيبتان نورهما خير لي في الدنيا وإذا حل بهما الظلام لأى إنسان وصبر عوضه الله وتعالىٰ عنهما الجنة .

جاء فى الحديث القدسي: «**إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه** ـ "يقصد عينيه" ـ **ثم صبر عوضته منهما الجنة**». ذات يوم فكر أحد العلماء فى طريقة عمل العين ووصل به التأمل إلىٰ صنع آلة التّصوير " الكاميرا " . . . لكن الفرق بينهما كبير جدًا. أسمعك أيها القارئ الحبيب: ياه . . . إنها نعمة عظيمة من نعم الخالق وكلنا نقول ذلك اعترافًا وشكرانًا .

هذا الجسم الصغير الكروى يعمل السنِين متحركًا يسبح عضلات. ينقل ما يراه من سماء وارض وبحار، هذه العين نافذةَ سحرية حقًا وما هي إلا خلايا ودماء تبعث برسائلها إلىٰ المخ عن طريق العصب البصرى.

وهذا الجهاز الصغير ـ العين ـ يحتاج إلىٰ حراسة وصيانة. وبالحراسة تقوم الأهداب والحاجب والجفون وتقوم الدموع بغسلها وصيانتها وأقوم أنا بإبعادها عن مصادر الاجهاد فلا أقرأ فى إضاءة شديدة أو ضعيفةَ ولا قرب شاشة التليفزيون ودائمًا استخدام عيوني فيما يرضى الله سبحانه وتعالىٰ وفى قراءة القرآن الكريم والموسوعات الإسلامية وسير الصحابة والتابعين وما يحبه الله ورسوله من وسائل العلم والمعرفة.

وكل مكونات عيناي معجزة مدهشة في عملها للتناسق . ومن ذلك العدسة الشفافة التى توجد خلف إنسان العين والشبكية التى تقوى علىٰ خلايا الرؤية .. وما أكثر الأيات التى تحدثنا عن نعمة الابصار .. شكرًا يا إلهى علىٰ نعمائك ونور عيناي وبصيرتي .

صاحبك وحبيبك

أحمد عزوز الفرخ

الإسكندرية

"لولا انتصار شارل مارتل الهمجي على المسلمين وقائدهم الغافقي، لظلت إسبانيا تنعم بسماحة الإسلام، ولما تأخر سير المدينة في أوروبا ثمانية قرون"

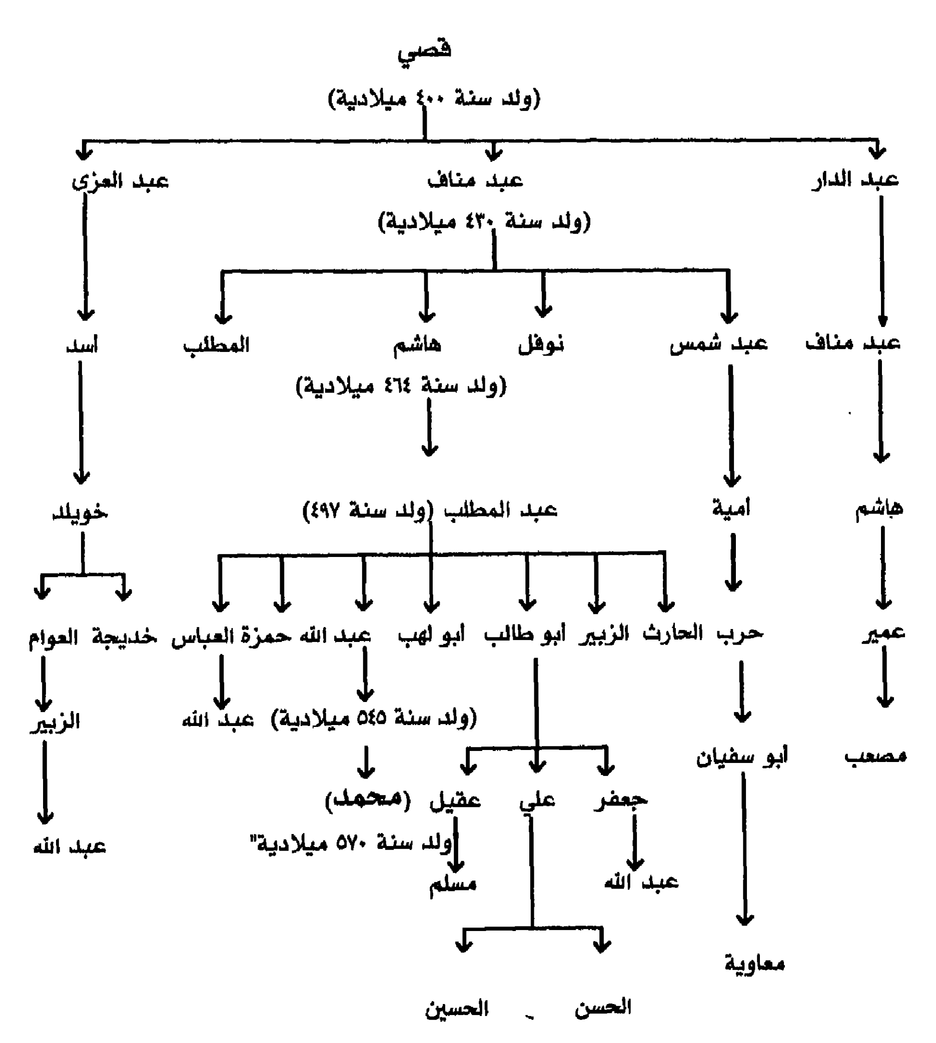
أحد مؤرخي الفرنجة

هنري دي شامبون

Henery de Hambone

عبد الرحمن الغافقي صورة صادقة
لخالد ابن الوليد،
وموسى بن نصير،
وطارق بن زياد،
في علو الهمة وسمو المقاصد.

المؤرخون



محمد رسول الله ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب " شيبة " بن هاشم " عمرو " بن عبد مناف " المغيرة " بن قصي " زيد " بن كلاب " حكيم " وسمي كلابًا لأنه كان يبيع التمر - أي بائع التمر - بن مرةَ بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر " قريش " ابن مالك بن قيس " النضر " بن كنانة بن خزيمة بن مدركة " عامر " بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وأيضا فهو محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمه هى السيدة/ أمنةَ بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة" - وهو الأخ الشقيق (لقصي

ابن كلاب) وأمهما هى فاطمةَ بنت سعد بن سَيل " ـ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوّي بن غالب بن فهر بن مالك بن قيس بن كنانة بن خزيمةَ بن مدركة بن اليأس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

من كاتب هذه السطور سليل قبائل الأنصار الخزرج

محب لأهل البيت

الأنصارى الخزرجي/ أحمد عزوز أحمد الفرخ

الإسكندرية

❊ ❊ ❊

ولابد لنا أن نعرف من هو محمد رسول الله ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب " شيبة " ابن هاشم " عمرو " بن عبد مناف " المغيرة " بن قصى " زيد " بن كلاب " حكيم " وسمى كلابًا لأنه كان يبيع التمر - أى بائع التمر - بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر " قريش " بن مالك بن قيس " النضر " بن كنانة بن خزيمة بن مدركة " عامر " بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان " إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم " حديث شريف " صحيح مسلم "

وأيضًا فهو **محمد رسول الله** ﷺ أمه هي السيدة/ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة " - وهو الأخ الشقيق (لقصى بن كلاب) وأمهما هى فاطمة بنت سعد بن سَيل "- بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وصلى الله عليك وعلى أهلك وزوجاتك أمهات المؤمنين حبيبات رسول الله وأصحابك ومن سار علىٰ نهجهم إلىٰ يوم الدين.

أمها: برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة.

جدتها لأمها: أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي. ووالدة أم حبيب أى جدة " برة بنت عبد العزى ": برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر.

اسم جدة آمنة " **لأبيها** " هى: قيلة بنت أبى كبشة وجز بن غالب الخزاعى.

ولم يكن " عبد الله بن عبد المطلب " - فتى بنى هاشم - بين الذين تقدموا لخطبة " آمنة " - زهرة قريش - مع أنه الجدير بأن يحظى بيدها دونهم جميعًا، فما كان فيهم من يدانيه شرفًا ورفعة وفتوة.

أبوه: " عبد المطلب بن هاشم " " وفيه العمود والشرف، ولم يبقى لهاشم عقب إلا منه، وقد شرف في قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه وعظم خطرة فيهم

وأمه: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان... من صميم البيت القرشي، وقد أنجبت لعبد المطلب: الزبير، أبا طالب، عبد الله، وأم حكيم البيضاء ـ توأمة عبد الله ـ وعاتكة، وبرة، وأميمة، وأروى. وجدة " عبد الله " لأبيه: " سلمى بنت عمرو بن زيد لبيد بن خداش بن عمر بن غنم بن عدي بن النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج " أجداد ورهط كاتب هذه السطور. الأنصارى الخزرجى/ أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى الفرخ " التى كانت لا تنكح الرجال، لشرفها في قومها، حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها، إذا كرهت رجلًا فارقته

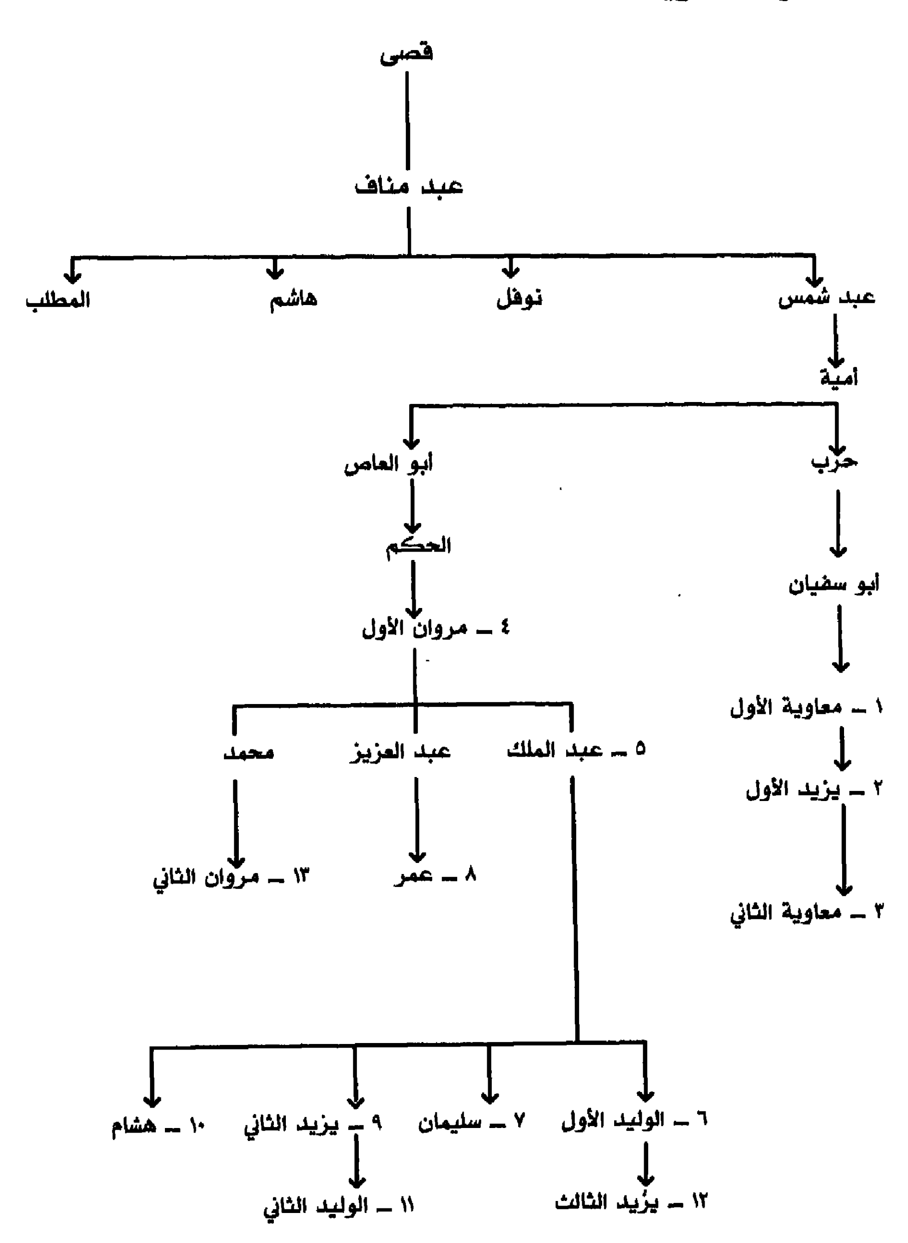
وجدته لأمه: " تخمر بنت عبد بن قصي ابن كلاب بن مرة ".

وأمها: " سلمى بنت عامرة بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر

محب لأهل البيت

الأنصارى الخزرجى/ أحمد عزوز أحمد الفرخ الإسكندرية

الدولة الأموية



فقد تولى من الفرع الأول ثلاثة خلفاء، ومن الثانى عشرة ومدة خلافة هذه الدولة تبتدىء من اليوم الذي بويع فيه معاوية بن أبى سفيان بيعه عامه في ٢٥/ ربيع/ ٤١هـ ... وتنتهى بمقتل مروان الثانى بن محمد فى ٢٧/ ذو الحجه/ ١٣٢ هـ ... وهى: " ٩١ سنة وتسعة أشهر " وهى المدة التى حكمت فيها الدولة الأموية.

جمعها وكتبها سليل القبائل الأنصار الخزرج

الأنصارى الخزرجى/ أحمد عزوز أحمد الفرخ

الإسكندرية

تم مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير[١] سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) بتدبير بعض رؤساء الجيش من العرب أمثال أيوب بن حبيب اللخمى، وحبيب بن أبى عبيدة، وزياد بن عذرة البلوى، وزياد بن نابغةَ التميمى، واجتمع جند الأندلس علىٰ أيوب بن حبيب اللخمى ابن أخت موسى بن نصير، وأول مافعله أيوب أن نقل العاصمة إلىٰ قرطبة، والواقع إن قرطبة كانت جديرة بالاختيار لحسن موقعها وقربها من داخل الأندلس، علىٰ أن أيوب هذا لم يطل عهده في الإمارة، فعزله الخليفة الأموى سليمان بن عبدالملك بعد ستة أشهر من ولايته، وبعث محمد بن يزيد، والي أفريقيا عاملًا من قبله إلىٰ الأندلس هو الحر بن عبد الرحمن الثقفي، فقدم في ذى الحجة سنة ٩٧ هـ (٧١٦ م)، وعلىٰ الرغم من قصر عهد أيوب بن حبيب فإنه يبدو أنه وجه جهوده نحو الشمال لتطهير البلاد تمامًا من أى مقاومة قوطية، وقد ترك اسمه علىٰ مدنية من تأسيسه هي قلعة أيوب GALATAY UB التى تقع إلىٰ الشمال الشرقى من طليلطلة[٢].

ولا يذكر المؤرخون العرب شيئًا يتعلق بغزو الحر بن عبد الرحمن الثقفي لجنوبى غالة (فرنسا) ولكن كوديرة يذكر أنه غزا بلاد غاله حتى مدينة أربونة، ويعتمد في هذا علىٰ نص لإيزيدور الباجى[٣]، ولم يتجاوز عهد الحر الثقفى السنتين والثمانيةَ أشهر، إذ كان سليمان بن عبد الملك قد توفى في صفر سنة ٩٩ هـ وخلفه عمر بن عبد العزيز.

ما كاد أمير المؤمنين، وسادس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز (خامس الخلفاء هو الإمام الحسن بن علىٰ بن أبى طالب) رضى الله عنهما ينفض يديه من تراب سلفه سليمان بن عبد الملك، حتى بادر يعيد النظر في أمراء الأمصار[٤]، ويعزل ويولى.

---

(١) ابن بسام الشنترينى، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول من المجلد الثانى ص ٢٦٨ ـ ٢٧٢.

(٢) حسين مؤنس، فجر الأندلس ص ٢٤٤.

(3) Codcra, limites pcobables De LA Congaisa Arade en la pirenaiaca, P.TTT

(٤) الأمصار: الأصقاع والولايات.

وكان في طليعة من استعمله رجلًا فاضلًا صالحًا "السمح بن مالك الخولانى" فقد أسند إليه ولاية " الأندلس " وما جاء وراءها من المدن المفتوحة من بلاد "فرنسا "، وأمره أن يخمس أرضها ويخرج منها ما كان عنوة خمسًا لله من أرضها وعقارها، ويقر القرى في يدى غنامها بعد أن يأخذ الخمس، فقدم السمح الأندلس فى رمضان سنة (١٠٠ هـ) الموافق (أبريل سنة ٧١٩ م) وكتب إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز يسأله أن يصف له الأندلس وأنهارها وبحرها، ويبدو أنه كان لا يعلم شيئًا عن الإسلام في الإندلس، وكان يرى إجلاء أهل الأندلس منها، لانقطاعهم عن المسلمين، فكتب إليه السمح يعرفه بقوة الإسلام فيه وكثرة مدنها، وشرف معاقلها، فلما استوثق عمر من أهمية الأندلس وثبات أقدام المسلمين فيها، أولاها جزءًا كبيرًا من عنايته، فبعث إلىٰ الأندلس رجلًا اسمه "جابر " لتخميس الأندلس، أي ضبط أموالها وتنظيم خراجها، وهو أمر لم يسبق لأحد من الخلفاء قبله العناية به، وأمره عمر، أن "يحمل الناس علىٰ طريق الحق ولا يعدل بهم عن منهج الرفق، وأن يخمس ما غلب عليه من أرضها وعقارها"[١]، فعزل السمح ولاية الأندلس عن إفريقية وميزفيها أرض العنوة من أرض الصلح ليصبح الخمس، وأخرجت البطحاء المعروفة بمصلى بقبلى قرطبة فى الخمس، وجعلت مقبرة للمسلمين[٢].

وهكذا مضى السمح بن مالك الخولانى في سياسته الإصلاحية، وأخذ ينظم إدارة الأندلس من الناحية المالية، وفى الوقت نفسه كان يقوم بإخراج البعوث الإسلامية إلىٰ بلاد غالة، ثم كتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى يعلمه أن "مدينة قرطبة تهدمت من ناحية غربها، وكان لها جسر يعبر عليه نهرها، ووصفه بحمله وامتناعه عن الخوض الشتاء عامة، فإن أمرنى أمير المؤمنين ببنيان سور المدينة فعلت، فإن قبلى قوة علىٰ ذلك من خراجها بعد عطايا الجند ونفقات الجهاد، وإن أحب صرفت صخر ذلك السور فبنيت جسرهم"[٣].

(١) ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ٣٤.

(٢) الرسالة الشريفية ص ٢٠٥، ٢٠٧.

(٣) آجنار مجموعة ص ٢٤.

وهكذا كان السمح يود أن يفعل شيئًا لتعمير قرطبة، إما أن يعيد بناء السور المتثلم من جهة الغرب فتتحصن العاصمة الأندلسية، ويصبح في إلا مكان أن تقف أسوارها فى وجه أى غاز، بعد أن كانت متفتحة للداخلين إليها والخارجين منها، وإما أن يرمم القنطرة من حجارة السور ثم يبنى السور باللبن. إذ كان المسلمون حديثى عهد بالأندلس لا يعرفون بعد أماكن مقاطع الصخور[١]، فورد جواب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بأن تبنى القنطرة من صخور السور، ويجبر ما تثلم منه باللبن.

واستخدم السمح الأحجار الضخمة المتخلفة من أجزاء السور الرومانى المهدمة بعد ترميمة في إعادة بناء قنطرة قرطبة، التي كانت تعد إحدى أعاجيب الدنيا.

وقد شادها علىٰ نهر " قرطبة " العظيم، ليعبر عليها الناس والجند.

وكانت تصل بين مدينة قرطبة وبين الربض الجنوبى، المعروف بشقندة، فلقد بلغ طولها ثمانمائة باع[٢].

وارتفاعها ستين باعًا.

وعرضها عشرين.

وبلغ عدد حناياها[٣] ثمانى عشرة حنية.

وعددًا أبراجها[٤] تسعة عشر برجًا.

وهى ما تزال قائمة تنعم بها " إسبانيا" حتى يومنا هذا ... وأنفق السمح علىٰ بنائها مما تجمع له من مال التخميس بعد عطايا الجند ونفقات الجهاد.

وعندما ألقى الأمير الجديد رحالة في بلاد "الأندلس " وانطلق يفتش عن أعوان

(١) نفس المرجع. يقول صاحب الرسالة الشريفية" فإنه كان لا يعرف يومئذ في جهة قرطبة مقطع صخر ص ٢٠٧".

(٢) الباع: مقدار من اليدين.

(٣) حناياها: أقواسها.

(٤) أبراجها: أبراجها: الحصون التى تحصنها.

الصدق والخير، فقال لمن حولة: أبقى في هذه الديار أحد من التابعين؟

فقالوا: نعم أيها الأمير.

إنه ما يزال فينا التابعى الجليل عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى.

ثم ذكروا له من عمله بكتاب الله، وفهمه لحديث رسول الله، وبلائه فى ميادين الجهاد، وتشوقه إلىٰ الاستشهاد، وزهده بعرض الدنيا الشيء الكثير.

ثم قالوا له:

إنه لقى الصحابى الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن أبيه، وأنه أخذ عنه ما شاء الله أن يأخذ.

وتأسى به أعظم التأسي.

دعا السمح بن مالك الخولانى عبد الرحمن الغافقى إلىٰ لقائه، فلما جاءه رحب به أكرم الترحيب وأدنى مجلسه منه، ثم قعد ساعة من نهار يسأله عن كل ما عن له.

ويستشيره في كثير مما أشكل عليه.

ويروزه[١] ليقف علىٰ طاقاته...

فإذا هو فوق ما أخبر عنه، وأعظم مما ذكر له، فعرض عليه أن يوليه عملًا من كبير أعماله في " الأندلس ".

فقال له: أيها الأمير، إنما أنا رجل من عامة الناس.

ولقد وفدت إلىٰ هذه الديار لأقف علىٰ ثغر من ثغور[٢] المسلمين.

ونذرت نفسى لمرضاة الله عز وجل.

وحملت سيفى لإعلاء كلمته في الأرض.

وستجدنى ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ الزم لك من ظلك ما لزمت الحق .. وأطوع لك

---

(١) يروزه: يقدره ويقومه.

(٢) ثغور المسلمين: المنافذ بين حدود المسلمين وحدود أعدائهم.

من بنانك[١] ما أطلعت الله ورسوله.

من غير ولاية ولا إمارة.

ويهمنا من عهد السمح بن مالك الخولاني أمر له أهمية كبرى هو جهاده في غاله من أراضى إفرنجة كلها، وضمها إلىٰ عقد[٢] دولة الإسلام العظمى.

وأن يتخذ من ديارها الرحبة طريقها إلىٰ دول " البلقان "[٣].

وأن يفضى من دول " البلقان " إلىٰ " القسطنطينية "، تحقيقًا لبشارة الرسول الأعظم عليه أفضل السلام وأزكى التحية[٤].

وكانت الخطوة الأولى لتحقيق هذا الهدف الكبير، إنما تتوقف علىٰ احتلال مدينة " أربونة " NARBONNE ـ مدنية في جنوب فرنسا قرب البحر الأبيض المتوسط بسهل لتغودوك. ذلك أن أربونة كانت من أكبر المدن " الفرنسية " التى تجاور بلاد "الأندلس" وكان المسلمون كلما انحدورا من جبال "البرنية"، PYREMEES وهى سلسلة جبال بين فرنسا وإسبانيا تمتد من خليج غاسكونيا في المحيط الأطلسى حتى خليج ليون في المتوسط ٤٣٠ كم عرفها المسلمون باسم برانس تنتصب أمامهم كما ينتصب المارد الجبار.

وهى فوق ذلك مفتاح "فرنسا " الكبرى.

ومطمح الطامحين إليها.

وكانت غالة قد انقسمت عقب سقوط الدولة الرومانية إلىٰ عدة ولايات منها ولاية سبتمانيا أى المشتملة علىٰ سبعة مدن هى: أربونه وبنمة NIMES وآجد Agde وبيزية BEZIERS، ولوديف LOdeve، وقرقشونة

---

(١) بنانك: إصبعك، يقال: فلان أطوع من بنانى: " أى إنه يفعل كل ما أمره به ".

(٢) العقد: القلادة الثمينة.

(٣) دول البلقان: شبه جزيرة واقعة جنوب شرقي أوروبا، تقتسمها اليوم رومانيا، وألبانيا، وصربيا والبوسنة والهرسك، "يوغسلافيا سابقًا"، وبلغاريا وتركيا، واليونان.

(٤) قال عليه الصلاة والسلام: «لتفتحن عليكم القسطنطينية، فنعم الجيش جيشها، ونعن الأمير أميرها».

Carcdssonne، ومجلون Maguejone وكانت أربونة هى عاصمة هذه الولاية. وإلى الشمال الغربى من ولاية سبتمانيا تقع دوقية أكيتانيا، وعاصمتها برديل Bordeau الواقعة علىٰ مصب نهر الجارون، وإلى الشمال الشرقى من ولاية سبتمانيا يقع إقليم بروفانس وعاصمته مدينة ابنيون Avignon علىٰ وادى ردونة (نهر الرون)، ويقع غربى هذا النهر إقليم برغندية، وعاصمته مدينةَ لودورن (ليون). أما المنطقة الواقعة شمال نهر اللوار حتى ألمانيا الحاضرة، فكانت خاضعة للدولة الميروفنجية.

حاصر السمح بن مالك الخولانى مدينة "أربونة" ثم عرض علىٰ أهلها الإسلام أو الجزية ... فعز عليها ذلك وأبوه.

فهب يهاجمهم الهجمة تلو الآخرى، ويقذفهم بالمنجنيقات حتى سقطت المدينة العريقة الحصينة في أيدي المسلمين بعد أربعة أسابيع من الجهاد البطولى الذى لم تشهد "أوربا" نظير له من قبل.

ثم بادر القائد المظفر المنتصر، فتوجه بجيشه الجرار إلىٰ مدينة "تولوز" عاصمة مقاطعة " أو كتانية".

فنصب حولها المنجنيقات من كل جهة.

وقذمها بآلات الحرب التى لم تعرف لها " أوربا" نظيرًا من قبل. حتى أوشكت المدينة المنيعة الحصينة أن تخربين يديه.

عند ذلك وقع ما لم يكن في حسبان أحد.

فلنترك الحديث للمستشرق الفرنسى "رينو" Renewou ليسوق لنا خبر تلك المعركة قال "رينو ":

لما أصبح النصر قاب قوسين من المسلمين أو أدنى، هب " دوق أو كتانية " يستنفر لحربهم البلاد والعباد.

وأرسل رسله فطافوا "أوربا" من أقصاها إلىٰ أقصاها.

وأنذروا ملوكها وأمراءها باحتلال ديارهم، وسبى نسائهم وولدانهم.

فلم يبق شعب في "أوربا" إلا أسهم معه بأشد مقاتليه بأسا، وأكثرهم عددًا...

وقد بلغ من وفرة الجيش[١] وعنف حركته، وثقل وطأته، مالم تعرف له الدنيا نظيرًا من قبل ... حتى إن الغبار المتطاير تحت أقدامه قد حجب عن منطقة "الرون " عين الشمس ... RHONE: نهر في سويسرا وفرنسا ٨١٢ كم من أغزر أنهار فرنسا، يروى جنيف، وليون LYON، وفالنس، واڤينيون، وآرل ARLES ويصب فى البحر المتوسط غرب مرسيليا.

ولما تدانى الجيشان خيل للناس أن الجبال تلاقى الجبال، ثم دارت بين الفريقين رحى معركة ضروس لم يعرف التاريخ لها مثيلًا من قبل.

وكان السمح أو "داما" كما كنا نسميه، يظهر أمام جنودنا في كل مكان.

ويتواثب أمام عسكره في كل اتجاه.

وفيما هو كذلك أصابته رمية من سهم، فخر صريعًا عن جواده وكانت المعركة بالقرب من طولوشة Toulouse وانهزم المسلمين، وقتل منهم عدد كبير، واستشهد السمح بين من استشهد من المسلمين، وذلك في يوم عرفة سنة ١٠٢ هـ[٢] (١٠ يونيو سنة ٧٢١ م).

فلما رآه المسلمون مجندلا، فوق الثرى، فت الموقف في عضدهم.

وبدأت صفوفهم تتداعى.

وأصبح في وسع جيشنا الجرار أن يبيدهم عن بكرة أبيهم.

لولا أن تداركتهم العناية الربانية بقائد عبقرى عرفته "أوربا" فيما بعد، هو،

---

(١) وفرة الجيش: كثرة الجيش وكثافته.

(٢) يذكر ابن حيان أنه قتل في طرسونة من أرض الأندلس (شمال تطيلة من إقليم أرغونة) انظر ابن القرطبي تاريخ علماء الأندلس رقم ٥٨٤ ـ ابن عذري ج٢ ص ٣٥ (يذكر أنه استشهد في طرسونة) ولكنه استشهد غازيًا بأرض إفرنجة (المقري، نفح الطيب ج١ ص ٢١٩) في بلدة طرسكونة Tarascon (انظر حسين مؤنس: فجر الأندلس ص ٢٤٦ حاشية ١)، وفيما يختص بهذه الوقعة ارجع إلى شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب.ص ٧٣ .

عبد الرحمن الغافقي.

فتولى أمر انسحابهم بأقل قدر من الخسائر، وعاد بهم إلىٰ "إسبانيا".

لكنه عقد العزم علىٰ أن يعيد الكرة علينا من جديد.

وبعد.

فهل رأيت الغيوم كيف تنقشع عن البدر في الليلة الظلماء.

فيستضيئ بنوره التائهون.

ويهتدى بسناه الحيارى؟

هكذا انقشعت معركة " تولوز" عن بطل الإسلام الفذ **عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى.**

وهل أبصرت العطاش الموفين علىٰ الهلاك في جوف الصحراء كيف يلوح لهم الماء.

فيمدون أيديهم إليه، ليغترفوا منه غرفة ترد إليهم الحياة؟

هكذا مد جند المسلمين أيديهم إلىٰ القائد العظيم ينشدون عنده النجاة .. ويبايعونه علىٰ السمع والطاعة.

ولا غرو فقد كانت معركة "تولوز" أول جرح غائر أصيب به المسلمون منذ وطئت أقدامهم " أوربا".

وكان عبد الرحمن الغافقى بلسم هذا الجرح.

واليد الحانية التى أحاطته بالعناية والرعاية.

والقلب الكبير الذى أفاض عليه الحنان.

وكانت هذه هى ولايته الأولى، ولم يدم فيها أكثر من أشهر، إذ أقام يزيد بن أبى مسلم والى أفريقيا مكانة عنبسة بن سحم الكلبى، فقدم عنبسة في صفر سنة ١٠٣ هـ (٧٢٢ م). ولما قتل يزيد بن أبى مسلم استعمل الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك علىٰ إفريقية بشر بن صفوان، فأمر عنبسة (١٠٣ - ١٠٧ هـ)، وكانت الأندلس في

اضطراب بسبب الهزيمة التى لحقت بالمسلمين في قرقشونة، وبسبب النزاع بين العصبيات العربية التي استفحل امره في الأندلس في ذلك الوقت، وكان العرب قد شغلوا بتصفية ثاراتهم القبلية عن القضاء علىٰ بقايا القوط في الأندلس، وعن إتمام إخضاع البربر في إفريقية. لذلك قضى عنبسة أربع سنوات من ولايته فى تنظيم أمور دولته، وكان من الشخصيات الكبرى في عصر الولاة، فقد سلك نفس السبيل الذى سلكه السمح الخولانى من قبل، وكان يرى مواصلة غزو بلاد إفرنجة، فما كادت أمور ولايته تستقر حتى بادر بإعداد جيوشه السير شمالًا في بلاد غالة، وفكر بادئ ذي بدء في تدعيم خط الدفاع أمام أربونة، فافتتح مدينة قرقشونة عنوة، ثم استولى علىٰ مدينة نيمة دون مقاومة، وأخذ من أهلها رهائن نقلهم إلىٰ برشلونة. وتذكر مدونة مواسياك Chronicon Moissiacense أن عنبسة واصل زحفه حتى وصل إلىٰ وادى نهر ردونة، وانطلق في زحفه سريعًا مصعدًا في النهر دون أن يقابل معارضة جدية، حتى تمكن من الوصول إلىٰ نهر الساء دون، وتوغل في إقليم برغندية الواقع شمال شالون Chalon، واستولى علىٰ مدينة أوتون autun، ثم نهبها جيشه في ٢٢ أغسطس سنة ٧٢٥ م. وذكر بعض المؤرخين أن عنبسة لم يقف إلىٰ هذا الحد من الغزو، بل اجتاحت جيوشه مدينة أوزه Uzes، وفيفييه Viviers، وفالانس Valence، وتدفقت الموجه إلىٰ ليون lyon، وماسون Macon وشالون Chalon، ومن هناك انقسمت إلىٰ تيارين أحدهما حمل الدمار إلىٰ ديجون وبيز Beze Dijon، ولانجر Lagres، بينما انحرق الآخر إلىٰ أوتون، ولم تقف هذه الموجه المدمرة إلا أمام بلدةَ سانسْ Sens وهنا توقف انطلاق المسلمين بسبب شجاعة أسقف هذه المدينة وهو الأسقف إيبون Ebbon. عزم عنبسه علىٰ العودة إلىٰ قرطبة بعد أن وصلته أنباء بحدوث بعض الاضطرابات هناك. ولكن جموعًا من الفرنجة تصدت له في طريق عودته فاستشهد في إحدى المواقع سنة ١٠٧ هـ (٧٢٥ م)، فقام بقيادة الجيش والعودة إلىٰ أربونة عذرة بن عبد الله الفهرى، وهكذا تمت الغارة الكبرى التى اخترق فيها عنبسة أرض غالة غازيًا،

ونلاحظ أن عنبسة بعد أن تقدم إلىٰ قرقشونة عدل عن مهاجمة أكيتاينا إلىٰ إقليم بروفانس وبر غندية، ويرجع سبب عدولة عن التوغل في أكيتانيا إلىٰ صداقتة للدوق أودو، الذى كان مخاصمًا وقتئذ لقارة (شارل بن ببين ديرستال Pepin d'heristal حاجب ملوك الدولة الميروفنجيه.

وتؤكد المصادر اللاتينية. أن دوق أردو صاهر مونوسة البربرى بأن زوجة من ابنته لامبيجيه Lampeqic أو مينين Minine وأنه ساعد عنبسة في غزو برغندية ليبعد خطرهم عن بلاده من جهة ولأنه لم يكن وقتئذ علىٰ علاقة طيبة مع دول الفرنجة من جهة آخرى، ويذكر الدكتور حسين مؤنس أن " العرب انصرفوا عن أرضيه لأنه كان حليفهم، وربما كان هذا الحلف هو السبب فيما وفق إليه المسلمون من انتصارات فاقت كل ما كان منتظما في حملة عنبسة " ـ حسين مؤنس ، فجر الأندلس ص ٢٥٣ ـ.

وتولى عذرة بن عبد الله الفهرى إمارة الأندلس بعد مصرع عنبسة، ويسميه ايزيدور الباجى حديرة Hodera، ويبدو أن عذرة كان ينوى مواصلة الجهاد في بلاد غالة بعد هزيمة عنبسة ومقتله، ولكنه شغل عن ذلك بالخلافات التي نشبت بين المسلمين فى الأندلس في ذلك الوقت، وينسب إليه " رينو Renewou المستشرق ألفرنسى " أعمال العنف والتدمير التي أصابت كنائس إقليم ليون وبورجونى، مثل كنيسة فيين ولودون وأوتون وسان مارتان[١]، ولكن أستبعد أن يكون المسلمون في عهد عذرة هم أصحاب هذه الأعمال، فقد كانت ولاية عذرة قصيرة الآمد، وقد تكون ثمة غارات شنها المسلمون المرابطون في أربونة، أما الغزو الحقيقى فلم يستأنفه المسلمون إلا بقدوم عبد الرحمن الغافقى، إذ تولى الأندلس بعد أن عزل عذرة في ربيع الأول سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م) عدة ولاة لم يغز أحدهم في غالة، وهم يحيى بن سلمة الكلبى، وحذيفة بن الأحوص الأشجعى،

(١) حسين مؤنس، فجر الأندلس ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠ ـ ينسب الأستاذ سيد أمير علىٰ هذه الأعمال إلىٰ الهيثم بن عبيد الكنانى (انظر مختصر تاريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكى، بيروت ١٩٦١ ص ١٤٦).

وعثمان بن أبى نسعة الخثعمى، والهيثم بن عبيد الكنانى، ومحمد بن عبد الله الأشجعى، ولم تتجاوز مدة حكم كل منهم عن عدة شهور. ثم قدم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى من قبل عبيد الله بن الحبحاب والى إفريقية، فدخلها سنة ١١٣هـ (٧٣١ حم)، وكان عبد الرحمن الغافقى من أعظم قواد المسلمين فى الأندلس، وكان معروفًا بحسن القيادة، والشجاعة وقوة الشكيمة، وكان قد أبلى بلاء حسنا فى موقفه طولوشة التى قتل فيها السمح الخولانى، فتركت هزيمة المسلمين أثرًا عميقًا فى نفسه، لذلك كان تواقًا إلىٰ ملاقاة الفرنجة، راغبًا في الانتقام منهم وجاء تقليده لولاية الأندلس في وقث انبعثت فيه الفتنه بين العرب في هذه البلاد بسبب العصبيات القبلية، وكان عبد الرحمن إلىٰ جانب صفاته السابقة معروفًا بنزاهته وحياده، لا يتحيز لفريق علىٰ فريق، ولا يتعصب لعنصر علىٰ عنصر آخر، ولذلك قوبلت ولايته بفرحة عمت قلوب أهل الأندلس، واستبشر الناس لولايته، وشرع عهده برفع المظالم عن الناس، وكان يطوف في المدن ويحقق في شكايات الرعية، لا يميز بين مسيحى ومسلم، وعزل كثيرًا من القواد والولاة الذين ثبت مظالمهم للرعية.

ولقد أوجعت أنباء النكسة الكبرى التى منى بها المسلمون في "فرنسا" فؤاد الخلافة في "دمشق ".

وأوقد مصرع البطل الشجاع "السمح بن مالك الخولانى " في صدرها نار الحمية للأخذ بالثأر.

فأصدرت أوامرها بإقرار الجند علىٰ مبايعتهم لعبد الرحمن الغافقى.

وعهدت إليه بإمارة " الأندلس " من أقصاها إلىٰ أقصاها.

وضمت إليه ما جاورها من الأراضى "الفرنسية " المفتوحة وأطلقت يده في العمل كيفما يشاء.

لاغرو فقد كان الغافقى حازمًا، تقيًا نقيًا، حكيمًا مقدامًا.

بادر عبد الرحمن الغافقى منذ أسندت إليه إمارة " الأندلس"، يعمل علىٰ استعادة ثقة الجند بأنفسهم.

واسترداد شعورهم بالعزة، والقوة، والغلب.

وتحقيق الهدف الكبير الذى تطلع إليه وعمل علىٰ نيلية قادة المسلمين في الأندلس.

ابتداءً من موسى بن نصير ـ فاتح المغرب الأقصى والأندلس ـ وانتهاء بالسمح ابن مالك الخولانى.

فلقد انعقدت همم هؤلاء الأبطال علىٰ الانطلاق من "فرنسا" إلىٰ "إيطاليا " و"ألمانيا" والانتقال منهما إلىٰ "القسطنطينيه".

وجعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية، وتسميته ببحر الشام بدلًا من بحر " الروم ".

لكن عبد الرحمن الغافقى كان يوقن بأن الإعداد للمعارك الكبرى إنما يبدأ بإصلاح النفوس، وتزكيتها..

ويعتقد أنه ما من أمة تستطيع أن تحقق غاياتها في النصر إذا كانت حصونها مشققة، مهددة من الداخل.

لذلك هب يطوف بلاد "الأندلس " بلدًا إثر بلد، ويأمر المنادين أن ينادوا في الناس.

من كانت له مظلمة عند وال من الولاة، أو قاض من القضاة، أو أحدٍ من الناس فليرفعها إلىٰ الأمير.

وأنه لا فرق في ذلك بين المسلمين وغيرهم من المعاهدين.

ثم طفق ينظر في المظالم مظلمة مظلمة.

فيقتص للضعيف من القوى ... ويأخذ للمظلوم من الظالم.

ثم جعل يحقق في أمر الكنائس المغتصبة، والمستحدثة.

فيرد ما قضت به العهود إلىٰ أصحابه.

ويهدم ما بنى منها بالرشوة .... ثم نظر في أمر عماله واحدًا واحدًا...

فعزل من ثبتت له خيانته وانحرافه.

وولى مكانه من استوثق من حكمته، وحنكته، وصلاحه.

وكان كلما دخل بلدًا من البلدان دعا الناس إلىٰ صلاة جامعة، ثم وقف فيهم خطيبًا، وانطلق يحضهم علىٰ الجهاد.

ويرغبهم في الاستشهاد.

ويمينهم برضوان الله، والفوز بثوابه.

وقد قرن عبد الرحمن الغافقى القول بالفعل، ودعم الآمال بالأعمال.

فطفق منذ اللحظة الأولى لولايته، يعد العتاد، ويستكمل السلاح.

ويرمم المعاقل، ويبنى الحصون.

ويشيد الجسور، ويقيم القناطر.

وقد دأب عبد الرحمن الغافقى علىٰ الاجتماع بقيادة الجند ووجوه القوم في كل بلد يحله.

وكان ينصت بجوارحه إلىٰ كل ما يقولون.

ويدون جميع ما يقترحون.

وينتفع من سائر ما ينصحون.

وقد أخذ نفسه في هذه المجالس بأن يسمع كثيرًا، وأن يتكلم قليلًا. وكما كان يلتقى الغافقى بأعيان المسلمين، فقد كان يجتمع مع كبار أهل الذمة من المعاهدين. وكثيرًا ما كان يسائلهم عما خفى عليه من أمور بلادهم، وما يشغل باله من أحوال ملوكهم، وقوادهم.

* * *

وفى ذات مرة استدعى أحد كبار المعاهدين من أبناء "فرنسا"، وأدار معه حديثًا متنوعًا متعدد الموضوعات ثم قال له:

ما بال ملككم الأكبر "شارل" لا يتصدى لحربنا.

ولا ينصر ملوك المقاطعات علينا؟!

فقال: أيها الأمير.

إنكم وفيتم لنا بما عاهدتمونا عليه، فمن حقكم علينا أن نصدقكم القول فيما تسألوننا عنه.

إن قائدكم الكبير موسى بن نصير قد أحكم قبضته علىٰ " إسبانيا " كلها، ثم طمحت همته لأن يجتاز جبال " البرنيه " التى تفصل بين ديار " الأندلس " وبلادنا الجميلة.

لجأ ملوك المقاطعات وقسسها إلىٰ ملكنا الأعظم، وقالوا له:

ما هذا الخزى الذى لصق بنا وبحفدتنا أبد الدهر أيها الملك؟!

فلقد كنا نسمع بالمسلمين سماعًا.

ونخاف وثبتهم علينا من جهة مشرق الشمس، وها هم أولاء قد جاءونا الأن من مغربها.

فاستولوا علىٰ " إسبانيا" كلها، وامتلكوا ما فيها من العدة والعتاد، واعتلوا قمم الجبال التى تفصل بيننا وبينهم.

مع أن عددهم قليل.

وسلاحهم هزيل.

وأكثرهم لا يملك درعًا تقيه ضربات السيوف، أو جوادًا يمتطيه إلىٰ ساحات القتال.

فقال لهم الملك:

لقد فكرت فيما خطر لهم علىٰ بالكم كثيرًا.

وأطلت النظر وتعمقت في التفكير فيه طويلًا.

فرأيت ألا نتعرض لهؤلاء القوم في وثبتهم هذه، فانهم الآن كالسيل الجارف يقتلع كل ما يعترض طريقه، ويحتمله معه، ويلقى به حيث يشاء.

ووجدت أنهم قوم لهم عقيدة ونية، تعينان عن كثرة العدد، ووفرة العدد.

ولهم إيمان، وصدق، يقومان مقام الدروع، والخيول.

ولكن أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم.

ويتخذوا لأنفسهم الدور والقصور...

ويستكثروا من الإماء والخدم...

ويتنافسوا فيما بينهم علىٰ الرئاسة...

فعند ذلك تتمكنون منهم بأيسر السبل، وأقل الجهد.

فأطرق عبد الرحمن الغافقى إطراقة حزينة، وتنهد تنهدًا عميقًا، وفض المجلس وقال: حي علىٰ الصلاة، فقد اقترب وقتها.

* * *

لبث عبد الرحمن الغافقى عامين كاملين يعد العدة للغزو الكبير.

أعد الجيوش، وعبأ الجنود.

وقوى الهمم، وأحدها كما تحد السكاكين، وعمر القلوب.

واستنجد بأمير "إفريقية " فأمده بنخبة من الجند، يتقدون ويتحرقون شوقًا إلىٰ الجهاد.

ويتلهفون لهفة علىٰ الاستشهاد.

وتجمعت حوله جموع المتطوعين الذين كانوا يتوقون للقتال، تحت قيادته، وتكون من هذه الحشود جيش هائل يتراوح عدده ما بين سبعين ألف ومائة ألف، جلهم من البربر، إذ أن العرب كانوا وقتئذ مشغولين بمنازعاتهم القبلية.

ثم أرسل علىٰ "مونوسة البربرى" أمير الثغور وكان عاملا علىٰ شرطانية Cerdana من جبال البرت بأن يشاغل العدو بغاراته إلىٰ أن يتقدم عليه هو بجمهرة الجيش.

لكن مونوسة البربرى هذا كان يمتليء حقدًا علىٰ ضغينة لكل أمير بعيد الهمة عظيم الطموح، يقدم علىٰ عمل كبير يرفع ذكره في الأنام، ويحمل غيرة من الولاة العمال.

أضف إلىٰ ذلك أنه قد ظفر في إحدى غاراته السابقة علىٰ "فرنسا" بابنة " دوق أكتانية" وتدعى: " منيين "(١).

وكانت " منيين " هذه فتاة ريانة الشباب، بارعة الجمال.

قد جمعت إلىٰ فتنة الحسن عزة الملك.

ومزجت بين رونق الصبا، ودلال بنات القصور.

فشغفت فؤاده حبا، وهام بها وجدًا، وحظيت عنده كما لم تحظ زوجة.

وقد زينت له أن يهادن أباها، فعقد معه معاهدة: أمنه فيها من غارات المسلمين علىٰ مقاطعته التي كانت تتاخم الثغور "الأندلسية ".

فلما جاءه أمر عبد الرحمن الغافقى بالزحف علىٰ بلاد حميه "دوق أكتانية" سقط في يده وتحير فما عاد يدرى ما يفعل.

وبات حيران لا يدرى ماذا يفعل؟

لكنه ما لبث أن بادر فكتب إلىٰ الأمير الغافقى يراجعه فيما أمره به، ويقول له:

---

(١) كان مونوسة البربرى قد تقرب من دوق أدو صاحب أكيتانيا، وتزوج من ابنته الجميلة لمبيجية Lampegie وأصبح حليفًا له، بعد أن عقد معه معاهدة ومهادنة آمنة بها من غارات العرب، فلما ورد أمر عبد الرحمن الغافقى بالسير علىٰ بلاد حميه، راجع مونوسة الأمير عبد الرحمن، فغضب عبد الرحمن من تردد مونوسة وتلكئه، وأرغمه علىٰ السير فى هذه الغزوة، فأبلغ، مونوسة حماه سرًا بذلك، ونصحه بالتأهب والاستعداد، فعلم عبد الرحمن بما فعله مونوسة، فعمل علىٰ القبض عليه، ولكنه فرمع بعض أعوانه في الجبال فأحاطته فرقة من جيش عبد الرحمن، وقبض عليه، واحتز رأسه، وأسرت الأميرة الأكتيانية وأرسلت إلىٰ بلاط الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك جارية بدمشق. (انظر شكيب أرسلان صـ ٨٨).

إنه لا يستطيع أن ينقض عهد "دوق أكتيانية" قبل انقضاء أجله.

فاستشاط عبد الرحمن الغافقى منه غضبًا...

وبعث إليه يقول: إن العهد الذى قطعته للفرنجة دون علم أميرك لا يلزمه، ولا يلزم جيوش المسلمين بشيء.

وإن عليك أن تبادر إلىٰ إنفاذ ما أمرتك به دون تردد ولا تلكؤ...

فلما يئس "عثمان بن أبى نسعة " وهو أسم "مونوسة البربرى" علىٰ حد بعض الروايات من حمل الأمير علىٰ الإقلاع عن عزمه، بعث إلىٰ حميه رسولًا يخبره بما جرى.

ويدعوه لأن يأخذ حذره.

لكن عيون الأمير عبد الرحمن الغافقى كانت ترصد حركات ابن أبى نسعة وسكناته... فنقلت إلىٰ الأمير أخبار اتصاله مع العدو.

فبادر الغافقى وجهز كتيبة اختار رجالها من ذوي الشدة والبأس.

وعقد لواءها لمجاهد من الكماة المجربين.

وأمره بأن يأتى بعثمان بن أبى نسعة "مونوسة البربرى" حيًا أو ميتًا.

باغتت الكتيبة معسكر ابن أبى نسعة، وأوشكت أن تظفر به لولا أنه نذر بها فى آخر لحظة...

ففر إلىٰ الجبال يصحبه عدد من رجاله.

ومعه زوجته الحسناء "مينين " التى كان لا يفارقها أبدًا، ولا يرى الدنيا إلا بها.

فمضيت الكتيبة في إثره، وأحاطت به وبمن معه.

فدافع عن نفسه وعن زوجته دفاع الأسد عن شبله.

وظل يناضل دونها حتى سقط قتيلًا.

وفى جسمه ما لا يحصى من ضربات السيوف، وطعنات الرماح ... فاحتز

الجنود، وحملوه مع الاميرة الحسناء إلىٰ عبد الرحمن الغافقى.

فلما صارت بين يديه، ورأى جمالها الباهر، غض من طرفه وأشاح عنها بوجهه.

ثم أرسلها هدية إلىٰ دار الخلافة.

فانتهت حياة الأميرة " الفرنسية " الحسناء في حرم الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك فى " دمشق

قال الشاعر الانكليزى " سوذى Southy" يصف جيوش المسلمين التى غزت " أوروبا " بعد فتح " الأندلس"[١]:

"جموع لا تحصى ...

من عرب، وبربر، وروم خوارج .

وفرس، وقبط، وتتر، قد انضووا[٢] جميعًا تحت لواء واحدٍ ...

"يجمعهم إيمان ثائر، راسخ الفتوة...

"وحمية متلظيه[٣] كالشرر، وأخوة مذهله لا تفرق بين البشر.

❊ ❊ ❊

"ولم يكن قادتهم أقل منهم ثقة بالنصر بعد أن ثملوا بحميا[٤] الظفر. "

واختالوا بتلك القوة القوية التى لا يقف أمامها شيء.

" وأيقنوا أن جيوشهم لا يمكن أن يلم بها الكلال ...[٥]. "

فهى دائمًا فتية مشبوبة[٦] كما انطلقت أول مرة...

" وأمنوا بأنها حيثما تحركت شى في ركابها النصر والغلب ...

---

(١) من منظومة "سوذى" Southy .Roderic .The Last ٨٠٠ Gorths الخاصة "برذريك " أو "لوذوريق " أخر ملوك القوط في " إسبانيا ".

(٢) انضووا: انضموا.

(٣) متلظية

(٤) ثملوا بحميا الظفر: سكروا بخمر الغلبة

(٥) الكلال: العناء والتعب.

(٦) مشبوبة: متقدة.

وأنها ستندفع دائما إلىٰ الأمام...
حتى يصبح الغرب المغلوب كالشرق ...
يطاطىء الرأس إجلالا لاسم محمد ... "
وحتى ينهض الحاج من أقاصى المتجمد[١]...
إلىٰ أن يطأ بأقدام الإيمان الرمال المحرقة... "
المنتشره[٢] علىٰ صحراء العرب...
" ويقف فوق صخور مكة الصلدة.

* * *

لم تكن أيها الشاعر بعيدا عن الحقيقة.
أو هائمًا في أودية الخيال في كثير مما قلت.
فقد كانت الجيوش التى قادها المجاهدون لإخراج أبائك من جاهليتهم الجهلاء[٣] كما وصفت .
ففيها عرب أقوياء بالله هبوا إليكم .
من الشام ...
من الحجاز ...
من نجد ...
من اليمن ...
من كل مكان في جزيرة العرب ...
كما تهب الريح المرسلة .
وفيها " بربر " أعزة بالإسلام، تدفقوا عليكم من جبال الأطلسي[٤] كما

---

(١) المتجمد: القطب الشمالى.

(٢) المنتشرة: المتساقطة.

(٣) الجهلاء: المغرقة في الجهل.

(٤) جبال الأطلسي: الجبال الواقعة بين المغرب العربى وإسبانيا.

يتدفق السيل العرم[١]
وفيه" فرس " عافت[٢] عقولهم وثنية الأكاسرة[٣]، وفاءت إلىٰ دين التوحيد
وصراط العزيز الحميد
وفيها " روم " خوارج، كما قلت
ولكنهم خرجوا علىٰ الظلم، والظلمات
وانحازوا إلىٰ نور السموات والأرض
وهدوا إلىٰ دين القيمة[٤]
وفيها " قبط " رفعوا عن رقابهم نير العبودية للقياصرة[٥]
ليعيشوا كما ولدتهم أمهاتهم أحرارًا في أكناف[٦] الإسلام
نعم لقد كان الجيش الذى قاده عبد الرحمن الغافقى وأسلافه لإنقاذ أجدادك من الجاهلية ... فيه الأبيض والأسود، والعربى والأعجمى
لكنهم انصهروا جميعًا في بوتقة[٧] الإسلام
فأصبحوا بنعمة الله إخوانًا
وقد كان همهم ـ كما ذكرت ـ أن يدخلوا الغرب في دين الله كما أدخلوا الشرق من قبل
وأن يجعلوا البشرية كلها تطأطئ[٨] الرأس لإله الناس
وأن يعم نور الإسلام بطاحكم[٩] وأوديتكم

---

(١) السيل العرم: السيل المتدفق الجارف.
(٢) عافت: كرهت واشمأزت.
(٣) الأكاسرة: ملوك الفرس.
(٤) دين القيمة: الدلن المستقيم الذى لا يأتيه الباطل.
(٥) القياصرة: ملوك الروم.
(٦) أكناف الإسلام: حمى الإسلام وحرزه.
(٧) البوتقة: الوعاء الذى يذيب فيها الصائغ الذهب والفضة.
(٨) تطاطئ: تخفض.
(٩) بطاحكم: سهولكم.

وأن تشرق شمسه في كل بيت من بيوتكم
وأن يسوى عدله بين ملوككم وسوقتكم[١]
وكانوا قد عزموا علىٰ أن يدفعوا أرواحهم ثمنًا لهدايتكم إلىٰ الله.
وإنقاذكم من النار

* * *

وبعد ... فإليكم القصة الأخيرة لهذا الجيش.

وخبر بطله الفذ عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى.

تناهت إلىٰ "دوق أكتيانية" الأخبار المفزعة عن مصرع صهره عثمان بن أبى نسعة "مونوسة البربرى".

وبلغته أنباء النهاية الحزينة التى صارت إليها ابنته الحسناء "منيين ".

فأدرك أن طبول الحرب قد دقت.

وأيقن أن أسد الإسلام الهصور عبد الرحمن الغافقى ممُس في دياره، أو مصبح.

فتأهب للدفاع عن كل شبر من أرضه، دفاع المستميت.

وأستعد للنضال دون نفسه ومملكته، استعداد المستبسل...

فقد كان يخشى أن يساق هو الآخر أسيرًا إلىٰ دار الخلافة في الشام كما سيقت ابنته.

أو أن يحمل رأسه علىٰ طبق، ويطاف به في أسواق " دمشق" كما طيف برأس "لذريق" ملك إسبانيا من قبل.

لم يكذب الأمير عبد الرحمن الغافقى ظن الدوق.

فانطلق بجيشه الكثيف الجرار من شمال "الأندلس " كما ينطلق الإعصار.

وأنصب علىٰ جنوب "فرنسا" من فوق جبال "البرنية" كما ينصب السيل.

---

(١) سوقتكم: عامتكم.

وكان عدد جيشه الآلاف من المجاهدين.

بين جوانح كل منهم قلب أسد ثائر.

وفى عروقة عزمة مارد.

يمم الجيش الإسلامى وجهه شطر مدينة "آرل" ـ ARLES: مدينة فى جنوب فرنسا علىٰ نهر الرون شمال مرسيليا ـ الواقعة علىٰ ضفاف نهر "الرون". فلقد كان له معها حساب.

ذلك أن "آرل " هذه كانت قد صالحت المسلمين علىٰ أن تدفع لهم الجزية.

فلما استشهد " السمح بن مالك الخولانى" في معركة "تولوز" Toulouse: مدينة في جنوب فرنسا علىٰ نهر الغارون وهى قاعدة محافظة غارون العليا ـ وتضعضع المسلمون لمصرعه، نبذ أهل "آرل " الطاعة، ونكثوا العهد، وامتنعوا عن دفع الجزية.

وقد تناسى " الدوق أودو " ما كان بينه وبين قارلة " شارف مارتيل " واستصرخه، فزحت بجيشه.

وكان خروج البطل عبد الرحمن الغافقى علىٰ رأس جيوشه من بنبلونة عاصمة ولاية نبرة في صيف عام ١١٤ هـ (٧٣٢ م) مخترقًا جبال البرت في شعاب رونشقاله، متجهًا رأسًا إلىٰ دوقية أكيتانيا، أعظم ولايات غالة في ذلك الوقت، ويبدو أنه أراد أن يؤمن نفسه من الوراء أولا قبل أن يهاجم أكتيانيا، فبعث فرقة من رجاله إلىٰ وادى رودنة نجحت في استرجاع مدينة آرل Arles الواقعة بالقرب من مصب نهر ردونة والتى كانت قد شقت عصا الطاعة علىٰ المسلمين، ويعتقد بعض المؤرخين أن حملة عبد الرحمن علىٰ مدينة آرل لا تعدو أن تكون خدعة قصد منها صرف الفرنجة عن الهدف الرئيسى للحملة وهو دوقية أكيتانية ومملكة الفرنجة.

ولما بلغ البطل الفارس عبد الرحمن الغافقى ضواحى المدينة، وجد أن "أود" دوق أكتيانية " قد عبأ قواته الكثيفة عندها.

وحشدها حول تخومها.

وتصدى لرد الزحف الإسلامى عليها.

ثم ما لبث أن التقى الجيشان وجها لوجه.

ودارت بين الفريقين معركة طحون ... قذف خلالها **الأسطورة العسكرية الأمير عبد الرحمن الغافقي** بكتائب من جيشه تحب الموت أكثر مما يحب أعداؤها الحياة، فزلزل أقدام العدو ... ومزق صفوفه.

ودخل المدينة من هذه المرة حربًا.

فأعمل السيف في رقاب أهلها.

وأثخن فيهم إثخانًا.

وغنم منهم غنائم كثيرة عزت على الحصر.

أما الدوق "أود" فقد فر بمن بقى حيًا من جنوده.

وطبق يعد العدة للقاء آخر مع جيوش المسلمين.

فقد كان يعلم أن معركة "آرل " كانت بداية الطريق، وليست نهايته.

تمنى كاتب هذه السطور ... الأنصارى الخزرجى/ أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى الفرخ، أن ليكون من طليعة هؤلاء المجاهدين مع هذا البطل الأسطورة عبد الرحمن الغافقى، اليمنى الأصل، القحطانى - والأوس والخزرج " وهما قبائل الأنصار" هم قحطانيون وهى إحدى أنواع العرب، المسماة بالعاربة -.

وكانت قاطنة فيما بين في دجلة والفرات قبل نزوحها إلى اليمن. والعرب المستعربة هم العدنانيين أحفاد سيدنا .

إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام وعلى حفيدهم نبي العالمين سيدنا


محمد
صلى الله عليه وسلم

ألف سلام وتحية، وكذلك على آهله وأمهات المؤمنين الكاملات المكملات.

ولاسيما الحبيبة الأولى السيدة الفضلى/ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

عبر البطل الفذ عبد الرحمن الغافقى بجيشه الجرار نهر "الجارون" ـ نهر في جنوب غربى فرنسا ٦٥٠ كم ينبع من إسبانيا ويروى تولوز، Gronne وآجن وبوردو، ويصب في المحيط الأطلسى ـ، وطفقت كتائبه الظافرة تجوس مقاطعة "أكتانية " ذات اليمين والشمال، وأخذت المدن والقرى تتساقط تحت سنابك خيله كما تتساقط أوراق الشجر في فصل الخريف إذ هبت عليها الرياح الهوج. وأضافت المسلمون إلى غنائمهم السابقة غنائم لاحقة لم ترها عين من قبل. ولم تسمع بها أذن.

وقد حاول دوق "أكتانية" أن يتصدى لهذا الزحف الكبير مرة أخرى فاشتبك مع المسلمين في معركة ضروس.

لكن المسلمين العظماء ما لبثوا أن هزموه هزيمة طاحنة ساحقة...

وأنزلوا به نكبة ساحقة مدمرة...

ومزقوا جيشه شر ممزق.

وتركوا جنده بين قتيل، وأسير، وهزيم.

ثم اتجه المسلمون إلى مدينة "بوردو" Bordeaux: (مرفأ في فرنسا على الجارون وهى الأن قاعدة محافظة جيرونده، كبرى المدن الفرنسية أنذاك، وعاصمة مقاطعة " أكتانية").

وخاضوا مع أميرها معركة لا تقل هولًا عن المعارك السابقة...

استبسل فيها المهاجمون والمدافعون استبسالًا يثير العجب والإعجاب والدهشة...

لكن المدينة الكبيرة الخطيرة ما لبث أن سقطت في أيدي المسلمين كما سقطت أخواتها من قبل.

وما لبث أميرها أن قتل في جملة القتلى.

وأحرز المسلمون من غنائم "بوردو" ما هون في أعينهم كل ما أحرزوه من غنائم.

وقد كان سقوط "بوردو" في أيدي المسلمين فاتحة لسقوط مدن أخرى كثيرة خطيرة.

أهمها " ليون "[١] و"بيزانسون "[٢] و"سانس SENS ".

وكانت هذه الآخيرة لا تبعد عن " باريس" أكثر من مائة ميل.



---

(١) LYON: مدينة في جنوب شرقي فرنسا على ملتقى الرون والسون وهي قاعدة محافظة الرون.

(٢) Besancon: مدينة في شرق فرنسا على نهر دو قاعدة محافظة دو.

أهتزت "أوربا" من أقصاها إلىٰ أقصاها لسقوط نصف "فرنسا" الجنوبى كله في يدى البطل العبقرى العسكرى عبد الرحمن الغافقى خلال بضعة أشهر...

ودب الصريخ في كل مكان يدعو العجزة والقادرين إلىٰ الوقوف في وجه هذا الهول المرعب القادم من الشرق.

ويحضهم علىٰ التصدى له بالصدور إذا عزت السيوف.

ويدعوهم إلىٰ سد الطريق أمامه بالأجساد إذا انعدم العتاد(١).

فاستجابت "أوربا" لدعوة الداعى.

وأقبل الناس علىٰ الانضواء تحت لواء " شارل مارتل " ومعهم الشجر، والحجر، والشوك، والسلاح.

واتجة البطل المظفر الأمير عبد الرحمن الغافقى بجيوشه الظافرة نحو مدينة "تور Tours" طليعة مدن "فرنسا" وفرة في السكان، وقوة في البنيان، وعراقة فى التاريخ بآثارها القديمة، النفيسة الثمينة.

وكانت المدينة ـ فوق ذلك ـ تعتز وتتباهى وتختال علىٰ أكثر مدن "أوربا" بكنيستها التى تضم ديرسان مارتان المشهور، الفخمه، الضخمة، العامرة بجليل الأعلاق، وكريم النفائس.

فأحاط بها المسلمون إحاطة القيد بالعنق...

وانصبوا عليها انصباب المنون إذا جاء الأجل...

واسترخصوا في سبيل افتتاحها الأرواح والمهج.

فما لبثت أن سقطت بين أيديهم علىٰ مرأى " شارل مارتل " ومسمعه...

وجردوا الكنائس والأديرة من كنوزها، وقتلوا من خصومهم عددًا لا يحصيه إلا الله.

---

(١) العتاد: كل ما أعد من سلاح ودواب وآلة حرب.

وأدرك دوق أود عجزه عن صد المسلمين، فاستنجد بقارلة، ووجد قارلة أن من مصلحته مصالحة أود و الاتحاد معه مؤقتا لصد المسلمين، لأن هدفهم التالى كان يتركز علىٰ دولة الفرنجة نفسها، خاصة وقد عزا المسلمون بقيادة عنبسة إقليما منها هو برغندية، فجمع جيوشه من سائر أنحاء غالة.

وبعث يطلب جندًا من حدود الرين، ووفد هؤلاء الجند الشماليون، وقد زودوا بأسلحة متفوقة علىٰ أسلحة المسلمين، ثم إن هؤلاء المحاربون كانوا جندًا أقوياء، لا يقلون عن العرب والبربر في قوة الشكيمة وفى الشجاعة والبطش، وكان القائد العسكرى عبد الرحمن الغافقى يدرك تمام الإدراك أهمية المعركة القادمة فى مصير غالة "فرنسا" ، ولذلك كان يتحرق حماسا للقتال، ولكنه كان يعلم أنه مقبل علىٰ مغامرة حربية أشد خطرًا من مغامرة طارق بن زياد، فقد كانت ظروف طارق أفضل بكثير من ظروف عبد الرحمن إذ كان التمهد للفتح الإسلامى واضحًا، فالبلاد منقسمه علىٰ نفسها الثورات تجتاح إسبانيا في الشمال وفى الجنوب، وكان طارق يعتمد علىٰ حزب آل غيطشة ومواليه ممن كانوا ساخطين علىٰ لذريق، وانضم إلىٰ هؤلاء جماعة اليهود الذين هللوا للمسلمين ودلوهم علىٰ عورات البلاد وكانوا عملا هامًا في الفتح. أما عبد الرحمن الغافقى، فكانت ظروفه أقل ملاءمة بكثير من ظروف طارق، لأنه اقتحم بلادًا تختلف عن بلاد الأندلس من حيث المناخ والسكان، كما أنه لم يكن للمسلمين فيها قواعد ثابتة يمكن أن يستمد منها عبد الرحمن ما شاء من النجدات، ثم إن جنود المسلمين كانوا قد أوغلوا في بلادهم وأثقلوا كاهلهم بالغنائم الكثيرة التى يحملونها معهم أينما توجهوا، وكانت هذه الغنائم عبئًا ثقيلا عليهم، عاقهم عن سرعة الفتح(١). هذا إلىٰ إمارات غالة "فرنسا" كانت قد تكتلت جميعًا لمواجهة جيوش الإسلام وصدها إلىٰ الجنوب، ويمكننا أن

(١) ذكر شكيب أرسلان نقلا عن رينو Renewou الذى اعتمد بدوره علىٰ مؤرخ عربى لم يذكر اسمه، أن عبد الرحمن كان يخشى علىٰ المسلمين من الغنائم الكثيرة التى كانوا يجرونها وراءهم أثناء زحفهم، وأنه فكر في حملهم علىٰ تركها في أرضها لئلا تشغلهم عن القتال، فتكون عليهم وبالا، ولكنه لم يشأ أن يثيرهم عليه في الوقت الذى كان يعمل فيه علىٰ توحيد صفوفهم. (انظر تاريخ غزوات العرب صـ ١٠٠).

نضيف إلىٰ ما سبق عاملًا آخر كان سببًا هامًا في ركود الإسلام.

ذلك هو انقسام المسلمين علىٰ أنفسهم[(١)]. فقد كان جيش عبد الرحمن يتألف من أعداد هائلة من العرب اليمنيين، والقيسيين الذين فرقت بينهم العنصرية القبيلية، كما أن البربر الذين يؤلفون العدد الأعظم من الجيش الإسلامى كانوا يحقدون علىٰ العرب بعد أن قتلوا زعيمهم عثمان بن أبى نسعه وهو اسم " مونوسة "[(٢)] ونسى عبد الرحمن الغافقى إن ذلك كله. كان لا يمكن أن يسمح للعناصر المختلفة التى يتألف منها جيشه أن تتعاون فيما بينهما، كما أنه كان يشكل خطرًا علىٰ وحدة الصف الإسلامى نتيجة لما قد يحدث من خلاف ونزاع بينهما لو مات هو في المعركة، وهو ما حدث بالفعل.

وكان المسلمون قد وصلوا إلىٰ مدينة بوايتيه poitiets ودخلوها بعد أن أحرقوا دير سانت إيميليان St,Emilien وكنيسة سانت إيلير St,Hilaire. ثم واصل المسلمون زحفهم إلىٰ الشمال نحو مدينة تور Tours، وما كاد يخرج الجيش من بوايتيه حتى علم عبد الرحمن الغافقى بنبأ وصول جيش هائل للفرنجه يقوده قارلة " شارل مارتل ".

ثم حدثت المعركة الكبرى في سهل يقع شمال بوايتية بالقرب من الطريق الرومانى الذى يصل شاتلرو chatellerault ببوايتيه، علىٰ بعد ٢٠ كم تقريبا إلىٰ الشمال الشرقى من بوايتيه، وقد تكون هذه المعركة قد حدثت بالقرب من موضع يطلق عليه اليوم اسم موسيه لاباتاى moussais la batallle وتصمت المصادر العربية عن ذكر تفاصيل هذه الموقعة الفاصلة، ولعل السبب في ذلك يرجع إلىٰ أنها

---

(١) ذكر المقرى نقلا عن ابن خلدون " أن عساكر المسلمين احتلوا البسائط وراء دروب الجزيرة، وتوغلوا في بلاد الفرنجة، وعصفت ريح الإسلام بامم الكفر من كل جهة، وربما كان بين جنود الأندلس من العرب اختلاف وتنازع أوجد للعرب بعض الكرة " صـ ٢١٩.

(٢) كان العدد الأعظم من جيش عبد الرحمن الغافقى يتألف من البربر، وقد نقم هؤلاء البربر علىٰ عبد الرحمن الغافقى لتنكيله بزعيمهم مونوسة، فلم يتفق المسلمون علىٰ هذه الحملة لهذا السبب، وكان لتفرق كلمتهم أثر في الهزيمة التى لحقت بالمسلمين فى معركة بلاط الشهداء.

كانت كارثة علىٰ جيش المسلمين، بحيث نفر قدامى المؤرخين من مجرد ذكرها، فاندرجت أخبارها في زوايا النسيان.

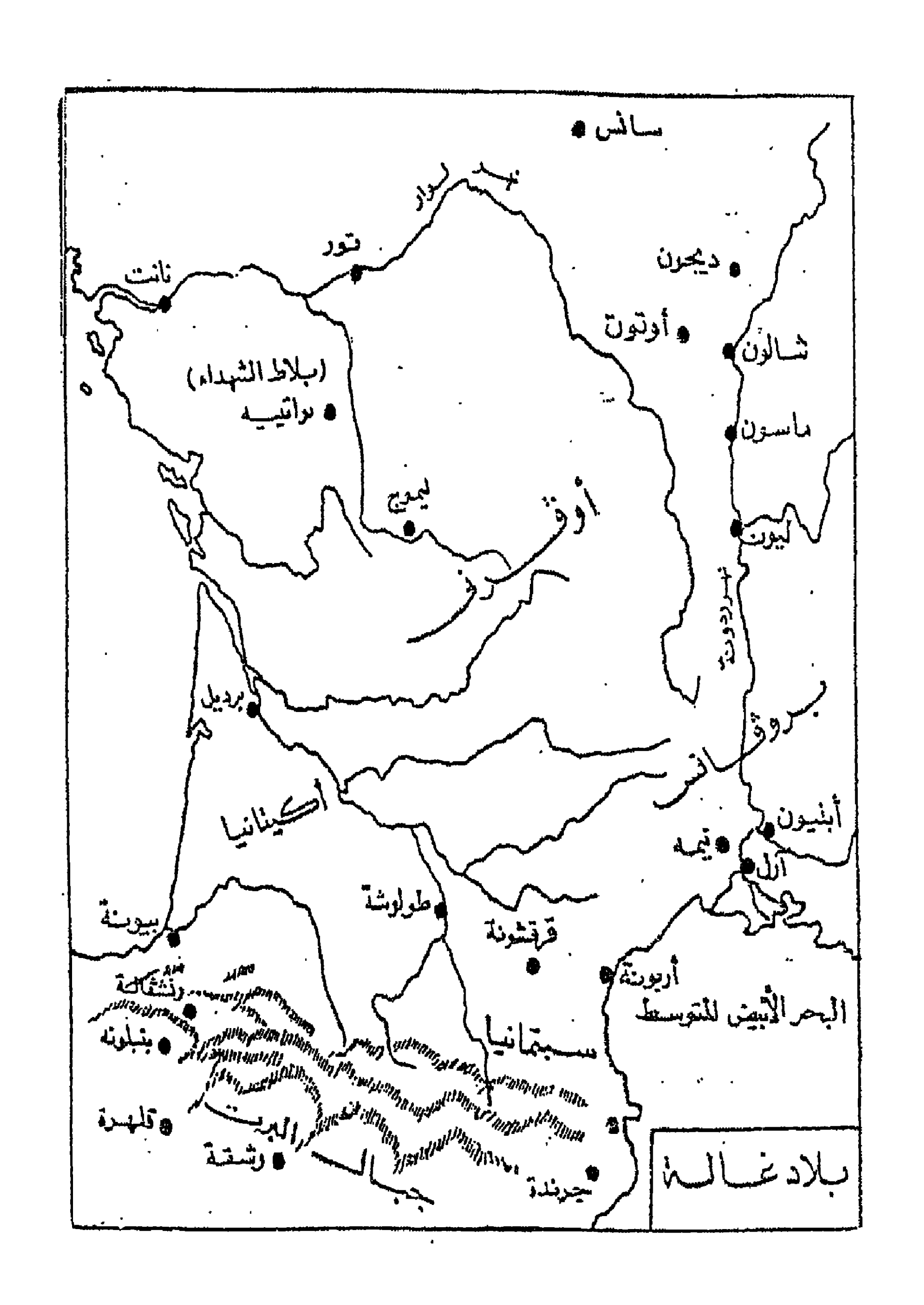
وفى العشر الأخيرة من شهر شعبان سنة ١١٤ هـ (أكتوبر سنة ٧٣٢ م) وتذكر المصادر المسيحية ان المعركة استمرت ثمانية أيام، وإن المسلمين هم الذين بدءوا القتال، وقد زحف البطل عبد الرحمن الغافقى بجيشه اللجب علىٰ مدينة " بوايتيه poltlers " وهناك التقى مع جيوش أوروبا الجرارة بقيادة شارل مارتل.

ووقعت بين الفريقين إحدى المعارك الفاصلة لا في تاريخ المسلمين والفرنجة فحسب.

وإنما في تاريخ البشرية كلها.

ه قد ع فت هذه المعركة بمعركة " بلاط الشهداء".

***



سانس
نهر لوار
تور
نانت
ديجون
أوتون
شالون
(بلاط الشهداء)
بواتييه
ماسون
ليموج
أوفرن
ليون
نهر رودونة
بروفانس
برديل
أكيتانيا
أبنيون
نيمه
آرل
طولوشة
بيونة
قرقشونة
أربونة
البحر الأبيض المتوسط
بنبلونة
سبتمانيا
قلهرة
وشقة
جبال البرت
جرندة
بلاد غالة

كان الجيش الإسلامى يومئذ في ذروة انتصاراته الباهرة.

لكن كاهله كان مثقلًا بتلك الغنائم التى انصبت عليه انصباب الغيث.

وتكدست في أيدي جنوده تكدس السحب.

وقد نظر القائد العبقرى عبد الرحمن الغافقى إلىٰ هذه الثروة الطائلة الهائلة نظرة قلق واشفاق. وتوجس خيفة منها وأحس بالفزع علىٰ المسلمين.

فقد كان لا يأمن أن تشغل هذه النفائس قلوبهم عند اللقاء.

وأن توزع نفوسهم في لحظات البأس والشدة.

وأن تجعل إحدى عينى الواحد منهم علىٰ العدو المقبل عليه.

وعينيه الأخرى علىٰ الغنائم التى في يديه.

ولقد هم بأن يأمر جنوده بالتخلص من هذه الثروات الطائلة الهائلة.

ولكنه خشى ألا تطيب قلوبهم بذلك القرار الخطير.

وألا تسمح نفوسهم بالتخلى عن ذلك الكنز الثمين.

فلم يجد وسيلة خيرًا من أن يجمع هذه المغانم في مخيمات خاصة.

وأن يجعلها وراء المعسكر قبل إنشاب القتال وإثارة الحرب.

وقف الجيشان الكبيران بضعة أيام كل منهما في مواجهة الآخر فى سكون، وترقب وصمت، كما تقف سلسلتان من الجبال إحداهما في وجه الأخرى.

فقد كان كل من الجيشين يخشى بأس عدوه، ويحسب للقائه ألف حساب.

فلما طال الوقت علىٰ هذه الحال، ووجد العبقرى القائد الملهم عبد الرحمن الغافقى مراجل الحمية والإقدام تغلى في صدور رجاله، أثر أن يكون هو البادئ بالهجوم معتمدًا علىٰ مناقب جنده.

متفائلًا بحسن طالعة في النصر.

انقض الفارس البطل عبد الرحمن الغافقى بفرسانه علىٰ صفوف الفرنجة

انقضاض الأسود الكاسرة.

وصمد لهم الفرنجه صمود الجبال الراسخة.

وانقضى اليوم الأول من أيام المعركة دون أن ترجح فيه كفة علىٰ كفة.

ولم يحجز بين المتقاتلين غير هبوط الظلام علىٰ ميدان القتال.

ثم تجدد النزال في اليوم التالى، وحمل المسلمون علىٰ الفرنجة حملات باسلة، ولكنهم لم ينالوا منهم وطرًا.

وظلت المعركة تدور علىٰ هذه الحال سبعة أيام طويلة ثقيلة.

فلما كان اليوم الثامن كر المسلمون علىٰ عدوهم كرةً واحدةً.

ففتحوا في صفوفه ثغرة كبيرة لاح لهم من خلالها النصر كما يلوح ضوء الصبح من خلال الظلام، ورجحت كفة المسلمين، فقد أظهروا ثباتًا واستبسالًا رائعًا، ولكنهم عندما حاولوا التمادى في صفوف الفرنجة ذهبت محاولاتهم عبثًا إذ تماسك الفرنجة ومن انضم اليهم من ألمان وسواف وسكسون، كالأسوار المنيعة، ولم يتركوا للمسلمين مجالًا لاختراقها، ويبدو أن أردو قد عرف نقطة الضعف في جيش المسلمين، لعلاقته السابقة بهم، فقد كان يعرف أن من عادة المسلمين أن يتركوا غنائمهم في مؤخرة الجيش، فالتف مع فرقة من جيشه خلف جيش المسلمين وهاجم مؤخرته، وبلغ هذا الهجوم المسلمين الذى يحاربون في ميمنة الجيش الإسلامى وميسرته فتراجع كثير منهم إلىٰ المعسكر لاستخلاص الغنائم من أيدي الفرنجة، فأخل هذا التراجع بنظام الجيش (راجع غزوة أُحُد للمفكر الإسلامى، أحمد عزوز الفرخ ... نفس السبب في هزيمة المسلمين).

فلما رأى المسلمون أن غنائمهم قد أوشكت أن تقع في أيدي أعدائهم.

تراجع كثير منهم لاستخلاصها منه.

فتصدعت لذلك صفوفهم.

وتضعضعت جموعهم.

وذهبت قوتهم وغلبتهم.

فهب القائد العظيم يعمل علىٰ رد المنكفئين...

ومدافعة المهاجمين...

وسد الأماكن التى ينفذ منها العدوُ...

وذهبت محاولات البطل عبد الرحمن عبثا في ذلك...

وفيما كان بطل الإسلام عبد الرحمن الغافقى يزرع أرض المعركة علىٰ صهوة جواده الأشهب جيئة وذهابًا...

وكر وفر ...

أصابه سهم نافذ فهوى علىٰ متن فرسه كما يهوى العقاب من فوق قمم الجبال.

وثوى صريعا شهيدًا علىٰ أرض المعركة. رحمك الله سبحانه وتعالىٰ بقدرته الشاملة المطلقة وصلى عليك قائدك الأعلى لهذه الأمة... قائدنا الأعظم سيدنا محمد ﷺ وكذا آهله والصحابة الكرام وأمهات المؤمنين الكاملات المكملات ولا سيما الحبيبة الأولى أم الإسلام والمسلمين، السيدة الفضلى، سيدة نساء العالمين، حبيبتى، السيدة/ خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها، وكذلك كاتب هذه السطور .. سليل قبائل عرب الأنصار الخزرج.. الأنصارى الخزرجى/ أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى الفرخ ... فمثلك أمثال قادة عظام تعلموا في الكلية العسكرية الإسلامية مع قائدها ومعلمها الأول... سيدنا/ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ابن مالك بن قيس بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان.

فلما رأى المسلمون ذلك عمهم الزعر وسادهم الاضطراب، وارتبكت صفوفهم، وأحاط بهم الفرنجة من كل مكان، وراحوا يحصدونهم حصدًا، .واشتدت عليهم وطأة العدو، وصبر المسلمون علىٰ مدافعة الفرنجة حتى أقبل الظلام وحلوله،

فحال بين الجيشين، واجتمع كبار رجال الجيش ووجدوا أن صمودهم معناه القضاء علىٰ البقية الباقية من جيش المسلمين، واختلفوا علىٰ تنصيب خلف للبطل عبد الرحمن الغافقى، فاجتمعوا علىٰ الرجوع إلىٰ ديار الإسلام فانتهزوا فرصة ظلام الليل وتسللوا من معسكرهم تاركين خيامهم وغنائهم التي لم يتمكنوا من حملها وراءهم إلىٰ الجنوب الشرقى أملا في التحصن بقاعدة المسلمين في سبتمانيا وهى أربونة وذلك في أوائل شهر رمضان سنة ١١٤ هـ (أكتوبر ٧٣٢ م) وهكذا عاد جل الجيش الإسلامى إلىٰ أربونه بعد أن دمر في طريقة ما صادفه من كنائس وأديرة مثل دير سولينياك Sollgsac.

أما الفرنجة، فقد باتوا ليلتهم تلك وهم ينوون القضاء علىٰ المسلمين.

فلما اصبح الصبح وجد " شارل مارتل " أن المسلمين قد انسحبوا من " بوايتيه ".

فلم يجرؤ علىٰ مطاردتهم.

ولو طاردهم لأفناهم.

ذلك أنه خشي أن يكون إنسحابهم مكيدة من مكائد الحرب دبرت في ليل، أو لأنه لقى صعوبة في قتاله للمسلمين.

فأثر البقاء في مواقعه مكتفيا بذلك النصر الكبير.

لقد كان يوم بلاط الشهداء يومًا حاسمًا في التاريخ.

أضاع فيه المسلمين أملًا من أعز الآمال.

وفقدوا خلاله بطلًا من أعظم الأبطال.

وتكررت فيه مأساه يوم " أحُد ".

سنة الله في خلقه.

ولن تجد لسنة الله تبديلًا.

هزت أنباء فاجعة يوم بلاط الشهداء نفوس المسلمين في كل مكان هزًا عنيفًا ... وزلزت لهولها أفئدتهم زلزالًا شديدًا ...

وعم الحزن بسببها كل مدينة، وكل قرية، وكل بيت...
وما زال جرحها الموجع يقطر دمًا من قلوبهم دمًا حتى اليوم.
وسيظل ينزف ما بقي علىٰ ظهر الأرض مسلم.

* * *

ولا تحسبن أن هذا الجرح العميق الغائر قد أمض أفئدة المسلمين وحدهم.
وإنما شاركهم في ذلك طائفة من عقلاء الفرنجة.
رأوا في انتصار أجدادهم علىٰ المسلمين في " بوايتيه " مصيبه كبرى فجعت بها الإنسانية.
وخسارة عظمى أصابت " اوربا" في صميمها...
ونكبة جلى نكبت بها الحضارة.
وإذا شئت أن تقف علىٰ رأى بعض هؤلاء في فجيعة بلاط الشهداء فاستمع إلىٰ " هنرى دى شامبون " Henery de Hambone مدير مجلة " ريفيُ بارلمنتير " Rive Parlmhlear الفرنسية حيث قال:

" لولا انتصار جيس " شارل مارتل " الهمجي علىٰ العرب المسلمين في فرنسا " لما وقعت بلادنا في ظلمات القرون الوسطى.

ـ القرون الوسطى هى القرون المظلمة التي تمتد من سنة ٤٧٦ إلىٰ سنة ١٥٠٠م ـ ولما أصيبت بفظائعها.

ولا كابدت المذابح الأهلية التى دفع اليها التعصب الديني المذهبى.
نعم لولا ذلك الانتصار الوحشى علىٰ المسلمين في " بوابتية " لظلت " إسبانيا " تنعم بسماحة الإسلام.
ولنجت من وصمة محاكم التفتيش.
ـ محاكم التفتيش: هى المحاكم التى عقدها فرد يناند فيليب والملكة إيزابيلا

للمسلمين وارتكبا فيها من الجرائم الإنسانية ما يندى له جبين التاريخ.

ولما تأخر سير المدينة ثمانية قرون...

ومهما اختلفت المشاعر والآراء حول انتصارنا ذاك.

فنحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا من العلم، والفن، والصناعة.

مدعون لأن نعترف بأنهم كانوا مثال الكمال البشرى.

فى الوقت الذى كنا فيه مثال الهمجية.

وافتراء ما ندعيه اليوم من أن الزمان قد أستدار.

وأن المسلمين وصلوا في هذا العصر إلىٰ ما كنا عليه في العصور الوسطى" وبعد هذه الموقعة التى سماها مؤرخو العرب " ببلاط الشهداء " لكثرة من استشهد فيها من المسلمين[١] وتعتبر هذه الموقعة من المواقع الفاصلة في التاريخ العام، وذلك لما ترتب عليها من نتائج، إذ أنها وضعت حدًا للتوسع الإسلامى فيما وراء جبال البرت. وأصبح قادة المسلمين في الأندلس يحسبون لقوة قارلة "شارل مارتل" حسابًا كبيرًا . أحدثت كارثة للمسلمين في بلاط الشهداء دويًا هائلًا فى إفريقيا والأندلس، فأسرع والى افريقية بتنصيب وال من قبله علىٰ الأندلس هو عبد الملك بن قطن الفهرى. وفطن عبد الملك أول ولايته إلىٰ الأثر السيء الذى احدثته هزيمة "أهل البلاط " في نفوس سكان شمالى الأندلس الجبليين (البشكنس)، وسكان سبيماينا ومايليها

(١) مر مؤرخو العرب مرًا سريعًا علىٰ هذه النكبة التى حلت بجيش المسلمين في غالة، بل أن كثيرًا منهم أخطأ في نسبة هذه الهزيمة إلىٰ عبد الرحمن الغافقى، ومن هؤلاء ابن حيان وابن خلدون، ولقد سميت بلاط بسبب وقوعها بالقرب من الطريق الرومانى المرصوف لأن كلمة بلاط تؤدى معانى كثيرة، فهى تعني القصر قبل بلاط مغيث، ولكنها لا تؤدى هنا هذا المعنى، كما أنها تعنى الممر الواقع بين صفى أعمدة وأقواس كما في أورقة المساجد، وهو معنى بعيد أيضًا عما بقصدونه ببلاط، والمعنى الثالث الكلمه بلاط الذى ينطبق علىٰ بلاط الشهداء هو الطريق المرصوف أو الأرض المستوية أو الساحة الفسيحة المرصوفة (انظر الشريف الأدريسي: وصف المسجد الجامع بقرطبة، نشر وترجمة Alfred Dessus Lamare، بالجزائر سنة ١٩٤٩، ملحوظة رقم ٥١ ص ٢٨، وانظر كذلك مقال بلاط الشهداء E,ncyclcpedie deo Islam هنا وليس من الضرورى أن الموقعة قد حدثت بالقرب من حصن أو قصر عظيم كما يذكر الدكتور حسين مؤنس (فجر الأندلس ص ٢٧١) فالمعروف أن الموقع كانت تحدث في مواضع مستوية بعيدة عن العمران.

من بلاد غالة "فرنسا" فغزا أرض البشكنس سنة ١١٥ هـ فأوقع بهم وغنم[١]، ثم عبر جبال البرت إلىٰ بلاد لانجدوك، وعمل علىٰ تحسين المدن.

والمعاقل التى كانت في أيدي المسلمين، وكانت الفوضى مستحكمة وقتئذ ببلاد سبتمانيا وبروفانس علىٰ أثر هزيمة المسلمين في بلاط الشهداء، وكان أمراؤها قد انتهزوا تقهقر جيوش المسلمين من بروفانس إلىٰ أربونة، وانشغال قارلة (شارل مارتل) ببسط سلطانه علىٰ برغندية وشمالى بروفانس، وهى المناطق التي غزاها المسلمون أيام عنبسة بن سحم الكلبى، ثم اضطروا إلىٰ الجلاء عنها، وانشغاله بعد ذلك بإخضاع الفريزون Frisons وهم أهل نهر الرين الأدنى، ثم توزعوا البلاد فيما بينهم، وعمد بعضهم إلىٰ مخالفة المسلمين في أربونة لاتقاء بأس قارلة، من أمثال هؤلاء مورونت Maurontes دوق مرسيلية الذى كان قد اقتطع لنفسه معظم إقليم بروفانس[٢]. وتمكن هذا الحاكم الإفرنجى من الاتفاق مع حاكم أربونة المسلم وتسمية مدونة موساك باسم يوسف بن عبد الرحمن Jussph Abin Abderahman، وهو نفس يوسف بن عبد الرحمن الفهرى آخر ولاة الأندلس من قبل الدولة الأموية، علىٰ مهاجمة وادى ردونه[٣] بعد مضى سنتين من هزيمة بلاط الشهداء، أى في سنة ٧٣٤ م. فلقد أعد الحاكمان جيشًا كثيفًا عبر نهر ردونة، واستولى علىٰ مدينة آرل، ونهب أديرة سان أبوترى Apotres .dests، ودير العذراء، وهدم ضريح سان سيزير Cesaires .St، ثم زحف الجيش إلىٰ قلب بروفانس واستولى علىٰ مدينة فرتيا Fretta المعروفة اليوم بسان ريمى دى بروفانس Provence -de -Remi -St، وأدرك صخرة أبنيون AviGnon. وافتتحها بعد قتال عنيف، ووصل المسلمون بعد ذلك حتى أعالى نهر دورانس، وتمكنوا من احتلال بلاد بروفانس زهاء أربع سنوات أى حتى سنة ١٢٠ هـ الموافق

(١) المقرى، نفح الطيب ج ١ ص ٢٢٠.

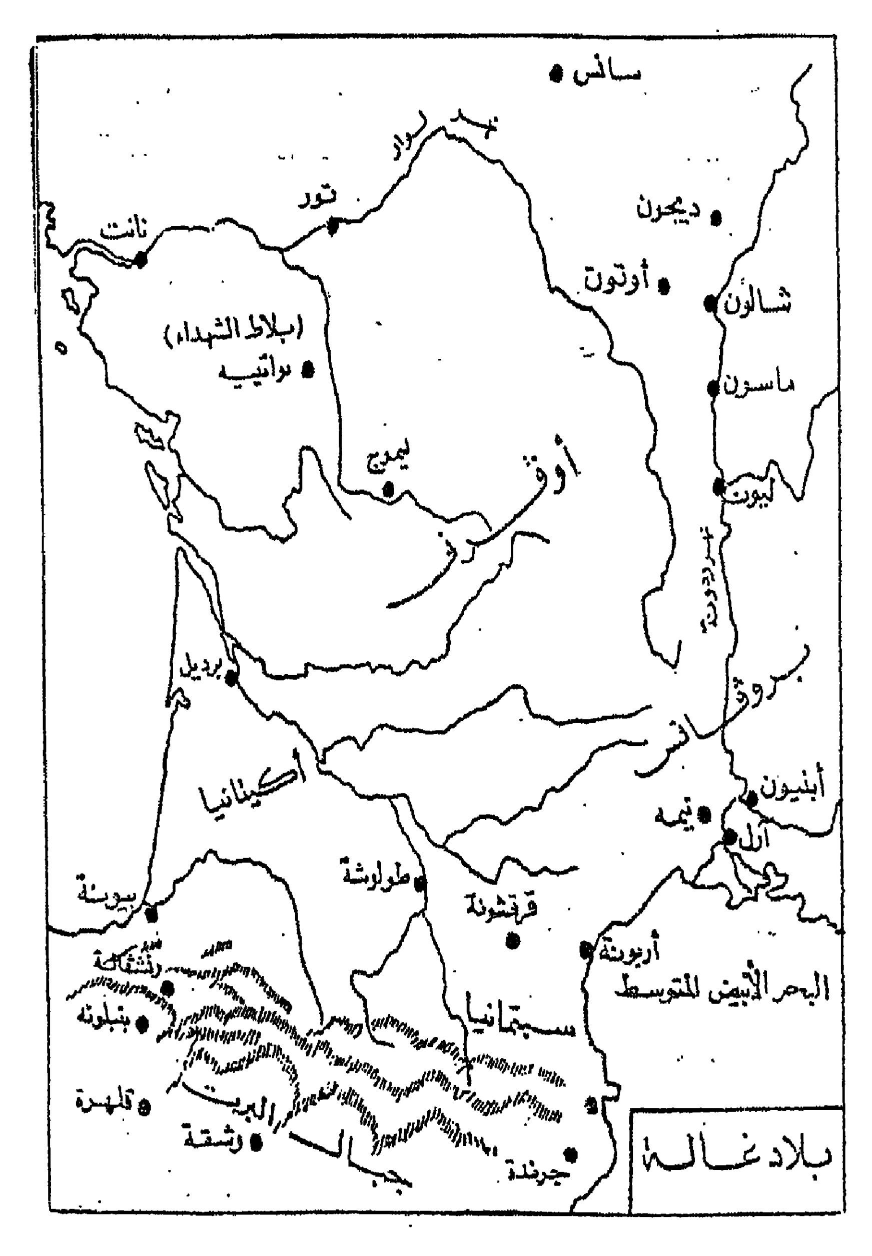
(٢) شكيب أرسلان، ص ١٠٤ ـ حسين مؤنس ص ٢٧٧.

(٣) كان يوسف الفهرى عاملا علىٰ أربونة في عهد عبد الملك بن قطن، وفى عهده صار رباط المسلمين على نهر ردونة (انظر نفح الطيب ج ١ ص ٢٢٠).

٧٣٨ م، ثم أرغموا قارلة بعد ذلك علىٰ العودة إلىٰ أربونة بعد أن ضم أكيتانيا إلىٰ ممتلكاته عقب وفاة دوق أود سنة ٧٣٥ م[١].

* * *

(١) شكيب ارسلان ص ١٠٥ ـ حسين مؤنس ص ٢٧٨.



خريطة توضح عز وقوة وشكيمة الإسلام في قارة أوروبا وهي حاليًا بلاد: أسبانيا، البرتغال، فرنسا .... ومعذرة لقائد الأمة الإسلامية سيدنا محمد ﷺ ولقادة المسلمين العظام وجنودهم البواسل الليوث الثائرة على ضياع ممالك الإسلام والدين الإسلامي الحنيف في هذه البلاد.

وكان عبد الملك بن قطن قد عزل في رمضان سنة ١١٦ هـ (٧٣٤ م) عن إمارة الأندلس لظلمه وجوره[١].

وتولى مكانه عقبة بن الحجاج السلولى من قبل عبيد الله بن الحبحاب، وكان عقبة هذا محمود السيرة مجاهدًا، فأغار بجيشه علىٰ منطقة دوفينة dauphine، وخرب بلدة سان بول المعروفة بالقصور الثلاثة Trois Chateaux ومدينة دونزير Donzaire[٢] واستولى علىٰ مدينة فالنس valence الواقعة علىٰ نهر ردونة، وخرب كنائس منطقة فنين (على نهر ردونة)، وهنا بعث قارلة (شارل مارتل) أخاه شيلد براند Childebrand علىٰ رأس جيش إلىٰ ليون لإيقاف تقدم المسلمين وإجلائهم عن البلاد، كما أرسل إلىٰ لويتبراند Luitprand ملك اللومبارديين يستنجده ضد المسلمين ويسأله مهاجمتهم من الشرق، فقدم شيلد براند وحاصر المسلمين في أبنيون، ويتبعه قارلة بجيش آخر لإحكام الحصار حول أربونة، وفى الوقت نفسه أقبل لويتبراند بجيوشه من جهة بيمونت، فاستمات المسلمون بداخل المدينة في الدفاع عنها، ولكن الفرنجة دخلوها عنوة، واستأصلوا من بها من المسلمين، وزحف جيش الفرنجة بقيادة قارلة نحو أربونة بقصد الاستيلاء علىٰ سبتمانيا بعد ضم بروفانس، وحاصر قارلة عاصمة الإقليم، فلما علم عقبة بأن قارلة قد ضيق الحصار علىٰ أربونة أرسل جيشًا لنجدة أهل المدينة تحت قيادة رجل يسميه إيزيدور الباجى Amorlben Ailet ولعله عامر أو عمر بن الليث ، وقدم هذا الجيش بحرًا نظرًا لوجود البشكنس حائلًا بين الأندلس وسبتمانيا، ويبدو أن قارلة " شارل مارتل " علم بوصول هذه النجدة ففاجأها علىٰ نهر برى Berre Fluvio وأنزل بها هزيمة نكراء، وقضى علىٰ معظمها، وقتل قائدها عمر، ولم ينج من المسلمين سوى فل قليل عاد بعضهم إلىٰ سفنهم، وفر الباقون إلىٰ أربونة، حاول قارلة بعد ذلك أن يستولي علىٰ المدينة ولكن أهلها استبسلوا في

---

(١) المقرى، نفح الطيب ج ١ ص ٢٢٠ ـ شكيب أرسلان ص ١٠٥.

(٢) شكيب أرسلان ص ١٠٥ ـ حسين مؤنس ص ٢٨٠ وما يليها.

الدفاع عنها، فاضطر أخيرًا إلىٰ رفع الحصار[١] عنها، خاصة عندما بلغه قيام الفريزون والسكسون بالثورة عليه، وقام أثناء عودته إلىٰ الشمال بتخريب القلاع الإسلامية في سبتمانيا، مثل بيزييه Beziers، واجدة Agde ونيمNimes ، وماجلون Maguellon وأسر من كان بهذه المدن من المسلمين وكبار الغاليين، وقاد هؤلاء معه كرهائن حتى يرغم أهل سبتمانيا علىٰ خذلان المسلمين، أذ أن هؤلاء السكان كانوا ينظرون إلىٰ قارلة وقومه كبرابرة من أهل الشمال، بينما يعتبرون أنفسهم أمة متحضرة ورثت مدنية الرومان[٢].

ما كاد قارلة "شارل مارتل " يعود إلىٰ الشمال حتى ظهر موررونت دوق مارسيليا من جديد، وأخذ يجدد علاقاته مع المسلمين، فخاف قارلة من نتائج ذلك، وعمد إلىٰ القضاء علىٰ موررونت، فزحف إلىٰ الجنوب، هو وأخوه شيلد براند سنة ٧٣٩ م، واستوليا علىٰ مارسيليا، وقضى بذلك علىٰ آمال موررونت في إقامة دولة مستقلة تتعاون مع المسلمين.

ثم ابتسم الحظ للمسلمين، ورضى الله سبحانه وتعالىٰ عليهم بدعاء قائد هذه الأمة الإسلامية سيدنا محمد ﷺ، إذ توفى قارلة " شارل مارتل" الملعون من المسلمين إلىٰ يوم الدين ذو القلب والمشاعر والأحاسيس السوداء الحالكة ضد الإسلام والمسلمين سنة ٧٤١ م وكذلك دعاء كاتب هذه السطور وآهله وذريته إلىٰ يوم الدين الأنصارى الخزرجى/ أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى محمد الفرخ سليل قبائل عرب الأنصار الخزرج، الذين لهم جذور عائلية في الأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى الأن وهى أسر أطلق عليها القياسية Chiaiys نسبة إلىٰ الأب الأكبر قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما، وهناك بعض الأسر تحتفظ بهذا الأسم إلىٰ الأن؟ كما هى عادة الأجانب وذلك أنهم تركوا الأندلس أيام محاكم التفتيش الإرهابية واضطربت أحوال الدولة الميروفنجية بعد وفاته، وكان في مقدور المسلمين أن

(١) شكيب أرسلان، عن رينو Reinaud ٤ ص ١٠٧ - حسين مؤنس، فجر الأندلس ص ٢٨٤.

(٢) لم يطل العهد بأرنونة إذا استولى عليها بن قارلة سنة ١٤٣ هـ (٧٥١ م).

يستغلوا هذه الفترة ويتوسعوا في غالة "فرنسا"، ولكنهم انهمكوا في القضاء علىٰ ثورة البربر، وكان عبد الملك بن قطن الفهرى قدوثب سنة ١٢١ هـ هو ومن معه من اليمنية علىٰ ولاية الأندلس.

واغتصبها من الحجاج[١]، واستبد بالبلاد، واشتعلت علىٰ يديه نيران الفتنة، بين العصبيتين اليمنية والمضرية في الأندلس، إذ أنه استعان بالعرب الشاميين الذين كان يحاصرهم البربر في سبتة لإخماد ثورة البربر البلديين في شمال الأندلس بجليقية والدروب واسترقة وطليطلة، ثم أراد أن يخرجهم من الأندلس إلىٰ حيث كانوا بسبتة ، مدفوعًا في ذلك بعصبيته ضد الشاميين، لأنه كان قد شهد موقعه الحرة[٢]، وهو صغير ولم ينسى أهوالها، فأخرجوه من قصره إلىٰ داره، كأنه "فرخ نعامة لكبر سنه "، وهم ينادونه " أفلت من سيوفنا يوم الحرة، فطلبتنا بثأرنا في أكل الدواب والجلود، ثم أردت إخراجنا إلىٰ القتل "، ثم قتلوه وصلبوه وأصلبوا خنزيرًا عن يمينه وكلبًا عن شماله[٣].

فلما علم عبد الرحمن بن علقمة اللخمى صاحب أربونة، وقائد جيش المسلمين في غالة "فرنسا" بمقتل عبد الملك بن قطن غضب غضبًا شديدًا وعزم علىٰ

---

(١) يقول صاحب أخبار مجموعة عن عقبة، أنه " افتتح الأرض حتى بلغ أربونة، وافتتح جليقية وألية وبنبلونة، ولم تبق بجليقية قرية لم تفتح غير الصخرة فإنه لا ذبها ملك لقال له بلاى، فدخلها في ثلاث مائة رجل، فلم يزالوا يقاتلونه ويغاورونه حتى مات أصحابه، وترامت طائفة منهم إلىٰ الطاعة، فلم يزالوا بنقصون حتى بقى في ثلاثين رجلًا ليست معهم عشر نسوة فيما يقال إنما كان عيشهم بالعسل، ولا ذوا بالصخرة، فلم يزالوا يتقوتون بالعسل معهم جباح والنحل عندهم في خروق الصخرة، احتيوزوا، واعيا المسلمين أمرهم فتركوهم وقالوا ثلاثين علجًا ما عسى أن يكون أمرهم، واحتقروهم ..." (أخبار مجموعة ص ٢٨، ابن عذرى ج ٢ ص ٤١) وذكر ابن عذرى أنه " كان يجاهد المشركين في كل عام، ويفتح المدائن وهو الذى فتح مدينة أربونة وافتتح جليقية وبنبلونة، واسكنها المسلمين، وعمت فتوحاته جليقيه كلها غير الصخرة فإنه لجا إليها ..." (البيان المغرب ج ٢ ص ٤١). وذكر المقرى أنه كان مظفرًا حتى بلغ سكنى المسلمين اربونة، وصار رباطهم علىٰ نهر ردونة. (المقرى، نفح الطيب ج ١ ص ٢٢٠).

(٢) موقعه دارت بين الخليفه الأموى الثانى يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وأهل المدينة المنوره سنة ٦٢ هـ، بالقرب من المدينة المنورة بسبب مقتل الإمام الحسين وأهل بيته الكرام، وفلها أشفوا غليلهم الأمويين بقتل زهرة شباب أهل المدينة المنورة من أبناء الصحابة بطريقة بشعه.

(٣) أخبار مجموعة ص ٤٢ ـ ابن عذارى ج ٢ ص ٤٥.

الانتقام من الشاميين، فحشد جيشًا مؤلفًا من غالبته عساكر المسلمين في أربونة[١]، وأقبل به إلىٰ الأندلس لمحاربة بلج بن بشر القشيرى والشاميين، وتضخم بمن انضم إليه من عسكر الثغر، واشتبك جيشه مع جيش نجلج بن بشر في موضع يقال له أقوة برطورة Agua Bortora من إقليم ولبة Huelva، فانهزم جيش عبد الرحمن وقتل من قواته نحو عشرة آلاف، ولكن عبد الرحمن تمكن من قتل بلج بن بشر القشيرى بسهم فوقه إليه ثم انصرف عبد الرحمن بن علقمة إلىٰ الثغر[٢].

والواقع أن رحيل عبد الرحمن بن علقمة إلىٰ الأندلس مع جيوش المسلمين، كان له أثر سيئ علىٰ مركز المسلمين فى غالة، إذ أنه رحل إلىٰ الأندلس بعد أن سحب معظم قوات المسلمين، ونتيجة لذلك خرجت كثير من مدن سبتمانيا عن الحكم الإسلامى، مثل نيم ومجلونة وأجدة وبيزييه[٣]، كما استقلت بعض إمارات البترتات مثل قنطابرية ونبرة.

ولما تولى يوسف بن عبد الرحمن الفهرى إمارة الأندلس أنفذ ابنه عبد الرحمن علىٰ رأس جيش إلىٰ أربونة وما يليها لضبطها، ويبدو أن عبد الرحمن فشل فى مهمته بسبب ضعف النفوذ الإسلامى هناك، وبسبب انقطاع الاتصال بين الأندلس وسبتمابنا عقب انتقاض أهل جليقية علىٰ المسلمين، وتغلب بلاى علىٰ أشتوريش، وانتهز ببين الثانى ابن قارلة " شارل مارتل " المعروف باسم Pepin Lebref هذه الفرصة وعجل بالسير نحو أربونة قبل أن يسبقة إليها فايفر Vaifre ابن أودو. **(لاحظ أيها القارئ الكريم المحب لله ولرسوله وللإسلام مدى توارث الأحقاد السوداء بين ملوك أوربا لأبنائهم نحو الإسلام والمسلمين .. ليتنا نتعلم من هذه الدروس.. التى ضيعت أشياء كثيرة من الإسلام وبلاد الإسلام، والتى مازلنا نعيش فيها.. وكانت هذه الأسباب ضياع دولة الإسلام بالأندلس وغيرها من بلاد أوربا..**

(١) ذكروا أن عدد جنود جيشه بلغ مائة الف (انظر مجموعة ص ٤٣) ويذكر أن القوطية أن عدد قواته بلغ ٤٠ ألفًا، وهذا العدد أقرب إلىٰ الصواب.

(٢) ابن القوطية ص ١٦ وما يليها ـ أخبار مجموعة ص ٤٣.

(٣) شكيب أرسلان ص ١١٢ ـ حسين مؤنس ص ٢٨٨.

صرخة مدوية يطلقها كاتب هذه السطور.. الأنصارى الخزرجى/ أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى محمد الفرخ ... ليتنا نتعلم الدروس.. ونورث لأبنائنا الإسلام الحق).

دوق أكيتانيا سار ببين إلىٰ اللانجدوك واستولى علىٰ نيم وأجدة ومجلونة وبيزييه، ومن هناك تقدم إلىٰ أربونة حيث حاصرها، وضيق عليها، وافتتحها سنة ١٣٣ هـ (٧٥٢)، وإن كان رينو يؤكد أنه لم يفتتحها إلا عام ١٤١ هـ (٧٥٩)[١].

ثم أخذ نفوذ الفرنجة في أواخر أيام ببين وبداية عهد ابنه شارل المعروف بشارلمان يتغلغل في شبه جزيرة أيبيريا (كانت هناك مودة واتصالات بين شارلمان هذا والخليفة العباسى الخامس هارون الرشيد وهو ابن بين ابن قارله " شارل مارتل ".. انظر أيها المسلم كيف تتوراث الأحقاد المسمومة ضد الإسلام والمسلمين والمسلمون وهم غافلون منشغلون بالعصبية القبلية وكرسى الحكم والسلطان والإسلام يضيع بينهم .. فكان هذا " كارلوس الكبير الملقب " بشارلمان " يرسل إلىٰ بغداد سفراء يستجلبون رضا هارون الرشيد، وكان شارلمان غرضه من مصافاة هارون الرشيد، هى إضعاف الدولة الأموية بالأندلس، ولما قدم سفير شارلمان قابله بمزيد الإكرام، واستفاد شارلمان من ذلك التودد فائدتين:

الأولى: تمكنه من حرب الدولة الأموية بالأندلس وتداخله في مساعدة الخارجين عليها.

والثاني: نيله رضا هارون الرشيد.

وتمت مبادلة الهدايا بينهما، وأرسل من يتعلم مهنة الطب - إذا كانت أوربا في ذلك الوقت تعيش في جهاله وظلام دامس بالنسبه للعلم والحضارة والمعرفة بعكس

---

(١) شكيب ارسلان، نقلا عن رينوص ١١٣، ذكر رينو Renwou أن ببين اضطر إلىٰ رفع الحصار عن أربونة، فلما كان عهد عبد الرحمن الداخل " صقر قريش " فكر في تدعيم السلطان الاسلامى في مدينة أربونة وما يليها، وانفذ جيشًا تحت قيادة أمير اسمه سليمان أملًا في تخفيف الضغط عليها، ولكن النصارى هاجموا الجهش الإسلامي فى شعاب الجبال وهزموه هزيمة شنعاء، وانتهز نصارى أربونة هذه الفرصة واتفقوا مع ببين سرًا علىٰ تسليم المدينة نظير أن يتركهم أحرارًا في مدينتهم، وفاجأوا الحامية الإسلامية وقتلوا رجالها جميعًا، وسلموا المدينة للفرنجه سنة ٧٥٩ م (انظر شكيب ارسلان ص ١١٣ - فجر الأندلس ص ٢٩١).

بغداد ـ عاصمة الأمبراطورية الإسلاميه في ذلك الوقت.

وكانا علاقة بغداد بقرطبة، فكانت شر علاقة، إذا أن هارون الرشيد كان ينظر إلىٰ دولة بنى أمية نظر الخارجين علىٰ دولته، فكان يود محوهم، ولكن القوم كانوا أكبر من ذلك بكثير، فقاوموا هذا الشارلمان الملعون من أبيه وجده عند المسلمين السابقين والحاضرين مقاومة عظيمة، ولم يتمكن أن يفعل بهم شرًا .

وللقارئ الرأى والتعليق.....؟!!!

وفى سنة ١٦٩ هـ (٧٨٥ م) سلمت مدينة جرندة للقوات الإفرنجية، وذلك قبيل وفاة الأمير (عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ـ صقر قريش) بزمن وجيز، كذلك أغزى الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية قائدة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث بالصائفة إلىٰ هذه المدينة، ولكنه لم ينجح في الاستيلاء عليها، فرفع عنها الحصار، واستمر في زحفه إلىٰ سبتمانيا، حتى انتهى " إلىٰ مدينة أربونة فأوقع بها وأحرق أرباضها[١]، وكان لويس " لويز الأول " بن شارلمان ملك أكتيانيا مشغولا في حروبه بإيطاليا، وكان أبوه شارلمان مشغولا بمقاتلة الآقاريين، فاضطر دوق طولوشه جيين Guillen المعروف في شعر الملاحم الفرنسية باسم جيوم ذى الأنف القصيرة Guillaume Aunez Couht إلىٰ صد الجيش الإسلامى الذى تأهب للتقدم نحو قرقشونة، والتقى الجيشان علىٰ ضفاف نهر أربونة بالقرب من قرية فيلدينى Villedaigne، وتقع بين قرقشونه وأربونة، وفيها انهزم جيش جيوم هزيمة نكراء[٢]، وغنم المسلمون غنائم هائلة، وحملوا معهم إلىٰ قرطبة عددًا كبيرًا من الأسرى، ويذكر ابن عذارى أن عبد الملك بن مغيث جال في بلاد العدو شهورًا يحرق القرى ويخرب الحصون[٣] وأن كان بعض المؤرخين العرب يؤكد أن عبد الواحد بن مغيث أفتتح أربونة وأن الأمير هشام (١٧٢ ـ ١٨٠ هـ) أقام

---

(١) ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ٩٥.

(٢) شكيب أرسلان ص (١٢٧).

(٣) ابن عنارى ص (٩٥)

قنطرة قرطبة وجامعها من خمس غنائمة[١].

ولا شك أن المسلمين اقتصروا علىٰ الإغارة علىٰ أربونة وما يليها، وأنهم لم يفتحوا عاصمة سبتمانيا بدليل أن المدونات المسيحية لم تشر إلىٰ شيء من ذلك، ثم إن المقرى يعاود الحديث عن مهاجمة المسلمين لبلاد الفرنجة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ ـ ٢٣٨ هـ)، فقد "أغزى حاجبه عبد الكريم في العسكر إلىٰ بلاد برشلونة فعاث في نواحيها، وأجاز الدروب التي تسمى البرت إلىٰ بلاد الفرنجة ، فدوخها قتلًا وأسرًا وسبيًا، وحاصر مدينتها العظمى جرندة وعاث في نواحيها، وقتل"[٢]، وقد أحاط الأعداء بعساكره ليلًا عندما عسكرت بين أربونة وشرطانية Cerdana فقاتلهم المسلمون الليل كله وهزموهم[٣] وعاد المسلمون غزو أربونة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ هـ - ٢٧٣ هـ)، فقد ذكر ابن بشكوال أن من أبواب قصر قرطبة باب يطل علىٰ السطح المشرف " وعليه باب حديد فيه حلق لاطون، قد أثبت في قواعدها، وقد صورت صورة إنسان فتح فمه، وهى حلق باب مدينة أربونة من بلد الإفريج، وكان الأمير محمد قد افتتحها، وجلب حلقها إلىٰ هذا الباب "[٤].

ومع كل هذه الغزوات، فقد امتنعت أربونة علىٰ المسلمين، واستعصت عليهم، ولم يمض عهد قصير حتى انقطعت هذه الغزوات تمامًا، بانقطاع الاتصال بين الأندلس وسبتمانيا.

المفكر الإسلامى

أحمد عزوز الفرخ

---

(١) ابن القوطية ص (٤٣). وذكر المقرى أن مدينة أربونة فتحت في أيام الأمير هشام الذى اشترط علىٰ المعاهدين من أهل جليقية من صعاب شروطه انتقال عدد من أحمال التراب من سور اربونة المفتتحه يحملونها إلىٰ باب قصره بقرطبة، وبنى منه المسجد الذى قدام باب الجنان، وفضلت منه فضله بقيت مكومة " ـ ج ١ ص ٢١٦ ـ، وفى موضوع أخر يقول إنه ازاد في جامع قرطبة زيادته المشهورة من خمس في اربونه (ج ٢ ص ٩٧). ويحدد ابن عذارى هذا القدر بنحو ٤٥ ألفا من الذهب العين (ابن عذارى ج ٢ ص ٩٥)

(٢) المقرى، نفح الطيب ج ١ ص ٣٢٤.

(٣) ابن عذارى، البيان ج ٢ ص ١٢٩.

.. كان أبو مسلم الخولاني، يقوم الليل، فإذا أدركه الإعياء ضرب رجليه قائلًا: أنتما أحق بالضرب من دابتي، أيظن أصحاب محمد ﷺ، أن يفوزوا به دوننا، والله لأزاحمنهم عليه، حتى يعلموا أنهم خلفوا من بعدهم رجالًا..

أحمد عزوز الفرخ

* * *

إبداعات صدرت للمؤلف المفكر الإسلامي/ أحمد عزوز الفرخ

١ ـ فتاوى أمير المؤمنين/ المكتبة المحمودية/ بجوار جامع الأزهر/ القاهرة.

٢ ـ الإمامان الحسن والحسين/ المكتبة المحمودية/ بجوار جامع الأزهر/ القاهرة.

٣ ـ أجمل ما قرأت/ المكتبة المحمودية/ بجوار جامع الأزهر/ القاهرة.

٤ ـ أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بن عوام/ المكتبة المحمودية/ القاهرة.

٥ ـ سيدة نساء العالمين أم الإسلام السيدة الفضلى خديجة بنت خويلد/ دار الحسين الإسلامية خلف جامع الأزهر/ القاهرة.

٦ ـ بنات الإمام الحسين: السيدة سكينة، السيدة/ فاطمة / دار الحسين الإسلامية/ خلف جامع الأزهر/ القاهرة.

٧ ـ مناسك الحج والعمرة/ دار الحرم للتراث/ أمام باب كلية الشريعة خلف جامع الأزهر/ القاهرة.

٩ ـ أعمام النبي ﷺ / مركز الإسكندرية للكتاب/ الإسكندرية/ أمام باب كلية الحقوق.

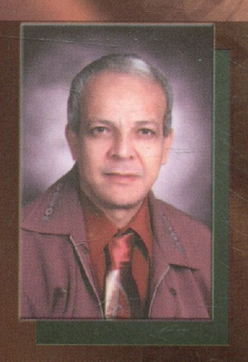
١٠ ـ غزوة بدر الكبرى/ مركز الإسكندرية للكتاب/ الإسكندرية/ أمام باب كلية الحقوق.

١١ ـ الصحابي الجليل/ سعد بن عبادة/ مركز الإسكندرية للكتاب.

١٢ ـ الصحابي الجليل/ قيس بن سعد بن عبادة/ مركز الإسكندرية للكتاب.

١٣ ـ غزوة أُحد/ مؤسسة الشروق ودار البدر ومؤسسة السماحة ش البيطار/ خلف جامع الأزهر/ القاهرة.

١٤ ـ الأسطورة عبد الرحمن الغافقي/ مؤسسة الشروق ودار البدر ومؤسسة السماحة ش البيطار/ خلف جامع الأزهر/ القاهرة.



"لولا انتصار شارل مارتل الهمجي على المسلمين وقائدهم الغافقي ، لظلت إسبانيا تنعم بسماحة الإسلام ولما تأخر سير المدنية في أوروبا ثمانية قرون "

أحد مؤرخي ا

هنري دي ش

e Hambone

مؤسسة شروق - دار البدر

نشر - توزيع - ترجمة

٦ش البيطار - الأزهر - القاهرة

جمهورية مصر العربية

٠٠٢ ٠٢-٢٥١١٤١٥١ ٠١٠٠١٧١٥٤٧٥ ٠١٠١٢١١١٧٤١

Email: darbadr2006@hotmail.com